مرتحل

السنة الثانية | العدد الثامن | 15 يونيو 2025م، ذو القعدة 1446 هـ

مجلة فصلية: شرعية، ثقافية، علمية، اجتماعية
تصدر عن إدارة البحوث والاستشارات بمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

12 المسابقة الصيفية

20 الإسلام والعلاقات الدولية

30 وهم العلاج بالطاقة

مشعـــل

مجلة فصليـــة: شرعية، ثقافيـة، علمية، اجتماعية

تصـــدر عـــن إدارة البحـــوث والاستشـــارات بمركـــز الشيـخ علي الغريـــاني للكتاب

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجوراء، قرب كوبري الشاحنات، بجوار مدرسة قلعة العلم

@ Shabcenter

00218 91 024 0866

info@shabcenter.ly

فهرس

افتتاحية العدد	03
الطفل في مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب	07 - 04
جهاز إدارة المدينة القديمة طرابلس في زيارة لمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب	09 - 08
من محاضرات المركز: مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي	11 - 10
انطلاق المسابقة الصيفية	13 - 12
الرسوم المتحركة وأثرها على تنشئة الأطفال	19 - 14
الإسلام والعلاقات الدولية	25 - 20
البحث العلمي والقضايا المعاصر الجندر والقوامة في البحوث الأكاديمية الليبية	29 - 26
وهم العلاج بالطاقة	31 - 30
المتاهة الواضحة	35 - 32
إضاءة على كتاب تاريخ الدولة العثمانية وتركيا الحديثة	39 - 36
شهادات من داخل معسكرات المجاهدين الليبيين	39 - 36
التراث المعماري والحرفي الغدامشي في كتابات الباحثة سعدية بن يونس	45 - 40
كتاب النحو التعبيري: مقاربة جديدة في تعليم النحو العربي وتعلمه للناطقين بغير اللغة العربية	50 - 48
المدار الإسلامي تصدر ترجمة لدراستين جديدتين في الحجاج القرآني	51
صناعة البحوث وتحقيق النصوص في كتاب جديد للدكتور محمد خليل الزروق	52
مركز الإمام ابن عبد الغالب المصراتي يعلن عن إصداراته الجديدة	53

افتتاحية العدد

على أعتاب عصر جديد، يعود سؤال قديم ليطرح نفسه: هل مازالت الكتب تحتفظ بمكانتها التقليدية في عصر الذكاء الاصطناعية، وهل ما تزال المكتبات مهمة؟

في الواقع، لقد كان الكتاب دائما في مواجهة تحد ما، السلطة، التقنية، المادة وغيرها، عندما ظهر الانترنت نعى كثيرون الكتاب معتقدين أن نجمه قد أفل، لكن ذلك لم يحدث، وعندما طرحت الكتب الإلكترونية اعتقد جمع من الناس أن أوان التخلي عن الكتب الورقية قد حان، لكن المطابع لم تتوقف عن صف وتجليد الورق، لا يعني هذا أن هذه التقنيات لم تؤثر على عالم الكتاب، لكن التأثير كان في البداية منظورا من جانبه السلبي فقط، فبقدر ما وضعت التقنية الكتاب الورقي في ضغوط غير مسبوقة وتحديات جديدة تتعلق بالجدوى والحقوق والوفرة وغيرها، فإنها بلا شك زادت من ثقافة القراءة ووصول الكتاب زيادة لم يعرفها التاريخ من قبل.

ولا يعني هذا التقديم أن تلك التقنيات تضاهي التطور الهائل الذي يفرضه الذكاء الاصطناعي، لكن وضع الكتاب في مواجهة مع الذكاء الاصطناعي هي مرة أخرى معركة غير حتمية الوقوع، وتخيل أن التأثير سيكون ذا جانب واحد سلبي أو إيجابي قد لا يكون دقيقا.

لا يمكن للقارئ الذي عرف الكتب أن يستغني عنها بأدوات الذكاء الاصطناعي، بل يمكنه أن يجمع بينها، فبينما تقدم أدوات الذكاء الاصطناعي حلولا وتجارب لا غنى عنها، فإنها تظل قاصرة عن الكتاب، فأدوات الذكاء الاصطناعي المصممة لتزويد المستخدم بتجربة تناسب اهتماماته وأسئلته، تحصره في زاوية صغيرة على الرغم من اتساع مدخلاته ومعارفه، بينما لا ينحصر الكتاب في الإجابة عن أسئلتك وطرح ما خطر ببالك، ويتجاوزه إلى منحك تجربة شخص آخر، مختلفة تماما، وقد تكون بعيدة عما اعتدت الاهتمام به.

تصنع الكتب علاقة خاصة بين القارئ والكاتب، بين المحب لفن من الفنون، ورواد هذا الفن وأعلامه، فسواء كانت الكتب في المجال الشرعي أو الفكري أو العلمي أو الأدبي، ما يزال لكل عالم بصمته، ولكل أديب طريقته، ولكل باحث أسلوبه ومنهجه الخاص في الوصول للمعرفة وإيصالها، بينما تمنحك أدوات الذكاء الاصطناعي تجربة سردية ومنهجية متطابقة تقريبا، مهما اختلف الموضوع، مما يضعف الصلة والرابطة بين المستخدم ومقدم الخدمة.

والأهم من هذا، أن السهولة التي يمنحها الذكاء الاصطناعي في الوصول إلى معلومة ما، في واقع الأمر هي تهديد لمهارات المستخدم وقدراته الفكرية والذهنية، والاعتماد عليه يورث كسلا وضعفا معرفيا لا يمكن تعويضه في الحياة الواقعية، اجتماعيا ومهنيا وفكريا، ثم إن الأفكار والمعارف هي ابنة البحث والتشابك المعرفي، وقراءة الرأي ومخالفه، وكشف مكامن الضعف والقوة في حجج كل فريق، إن من يتلقى معلومة سهلة من أدوات الذكاء الاصطناعي، سيفشل في الدفاع عنها في أبسط اختبار أو نقاش فكري أو علمي، ويتفاجأ بوجود رأي يخالفها، أو بضعف بنيوي في القناعات التي بناها بالمعلومات السريعة، بعكس من يقرأ الكتاب.. فهو لا يصل إلى المعلومة إلا بعد أن يعرف مقدماتها وسياقاتها ومحاجّات المؤلفين حولها، فيخرج بحصيلة وافرة تمكنه من الوقوف على أرضية صلبة.

وإضافة إلى ذلك، ورغم أن الضحالة والقول بغير علم قد غزى عالم الكتب أيضا، إلا أن الكتب ما تزال تحتفظ بموثوقية أكبر، وما يزال يحكمها قواعد متعارف عليها في مناهج الكتابة والبحث والتأليف.

في عصر الذكاء الاصطناعي، قد تزداد أهمية الكتاب، ليس فقط لكل الأسباب التقليدية المعروفة عبر العصور، بل أيضا، للحفاظ على جيل قادر على التفكير بطريقة صائبة، وقادر على نقد ما يقرأه، وقادر على مناقشة الأفكار، وتمييز الغث من السمين.، وفي الجملة، لا ينبغي أن تطرح هذه الثنائية: الكتاب أو الذكاء الاصطناعي؟ فالتكامل ممكن، بل مطلوب.

الطفل في مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: إن قلب الطفل جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾.

تُشكّل الطفولة اللبنة الأولى والأهم في بناء الإنسان، فهي المرحلة التي تُغرس فيها القيم وتُبذر فيها البذور ويتشكل فيها الوعي، وكلما أُحسنّا الاهتمام بها، كانت النتائج أفضل. ومن بين أهم ما يمكن غرسه في وجدان الطفل في هذه المرحلة الحساسة: حب القراءة والانخراط في الأنشطة الثقافية، لما لها من أثر بالغ في صقل شخصيته، وتنمية مداركه، وفتح نوافذ الإدراك وفرص التعلم أمامه نحو عوالم الفكر والإبداع، كما أنها تتيح له الانخراط والاختلاط بأقرانه ممن لهم اهتمامات وهوايات مستحسنة، مما يجوّد بيئته ويزيد فرصه في النجاح والاستزادة من المعارف والمواهب.

والقراءة ليست مجرد مهارة مكتسبة، بل هي نافذة يُطل منها الطفل على تجارب الآخرين وعوالمهم، وتربطه بدينه وهويته وقيمه ومجتمعه، وتأخذ به إلى مكامن الحكمة، فتتسع آفاقه، وتتكون لديه قدرة مبكرة على التعلم والتفكير والتحليل، كما تُسهم في إثراء لغته ومفرداته، وتشكيل وعيه بهويته وثقافته. أما الأنشطة الثقافية بمختلف صورها، فهي الميدان الرحب الذي يعبّر فيه الطفل عن ذاته، ويكتشف من خلاله مواهبه الكامنة، ويتعلم القيم الاجتماعية كالتراحم والتعاون، والاحترام، والانتماء.

والطفل في مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب، عنصر أساسي في كل خطوة يخطوها المركز في رسم خططه ووضع برامجه، ولا أدل على ذلك من العمل على تخصيص مكان مخصص للطفل القارئ في مرافق المركز ضمن خطط التوسعة الجديدة، والتي ستسمح بافتتاح ركن خاص يراعي كل متطلبات الأطفال، كما عمل المركز منذ مدة على اقتناء مئات الكتب والقصص الموجهة للأطفال على اختلاف أعمارهم ومراحلهم الدراسية، وإلى جانب ذلك، يقيم مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب أنشطة مستمرة مخصصة للأطفال.

الأنشطة

ومن اهم الانشطة التي أقيمت للاطفال خلال الأشهر الثلاث الماضية:

نشاط للأطفال بعنوان: "في رحاب الآيات" مع الأستاذة: جليلة علي الذي اقيم في مايو الماضي، حيث استهدف الاطفال من عمر 6 سنوات إلى 10 سنوات، وشهد اقبالا واسعا وتفاعلا كبيرا من الأطفال الحاضرين.

وفعالية بعنوان "قصة وعبرة" اجتمعت حولها أفئدة غضة؛ وعقول واعدة، تسمع وتسأل وتحاور وتستفيد من الأستاذة: تسنيم سليمان، وهي تروي وتدير دفة النقاش وتستخلص العبر، واستهدف النقاش فئة الاطفال من عمر 6 سنوات إلي 10 سنوات.

كما شهدت قاعات المركز نشاطا حمل عنوان "من شيم الصحابة رضوان الله عليهم" قدمته الأستاذة: بُشرى الغرياني، والذي استهدف الاطفال من عمر 7 سنوات الي 11 سنة.

وقدمت الاستاذتان: عائشة الغرياني، وهاجر العالم، نشاطا بعنوان: "مكارم الأخلاق" خصص للبنات من عمر 8 إلى 12 سنة، لترسيخ الأخلاق والقيم في نفوسهن، بأسلوب تفاعلي ماتع قريب إلى قلوبهن.

المسابقات

تُعد المسابقات الثقافية من الوسائل التربوية الفعالة في تنمية قدرات الطفل، إذ تجمع بين التعلم وروح المنافسة، وتخلق بيئة محفزة تدفع الطفل إلى الاطلاع والاجتهاد. ومن خلال هذه المسابقات، يكتسب الطفل مهارات عدة وتساهم في رفع ثقته بنفسه، كما تتفتح مداركه على مجالات معرفية متنوعة، وتدفعه نحو مزيد من الاكتشاف والتعلّم وا لحفظ.

وقد دأب مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب على إقامة المسابقات الثقافية المختلفة الموجهة لفئة الأطفال، خاصة في المرحلة الصيفية، ومن آخر المسابقات التي أعلن عنها المركز لهذه الفئة، وليست الاخيرة بالطبع: المسابقة الثقافية الصيفية للموسم الرابع (2025م)، حيث خصص قسمها الثالث في (حفظ منظومة أبي إسحاق الإلبيري)، على أن يختبر المتسابق اختبارا تحريريا في حفظ المنظومة، ثم يختبر شفويا، وخصصت المسابقة لمن تقل أعمارهم عن 14 سنة، ورصدت لها جوائز قيمة حيث سينال صاحب الترتيب الأول جائزة مالية وقدرها 1000 دينار، والترتيب الثاني جائزة مالية وقدرها 700 دينار، أما الترتيب الثالث فسيحصل على جائزة مالية وقدرها 500 دينار.

إن تعويد الطفل على القراءة والمشاركة في الفعاليات الثقافية والمسابقات العلمية لا ينبغي أن يكون ترفًا أو خيارًا هامشيًا، بل هو ضرورة تربوية وتنويرية تُسهم في إعداد جيلٍ ناضج الوعي، قويّ الشخصية، متوازن السلوك، فالمعرفة هي الحصن الذي يحمي، والقراءة هي النور الذي يضيء له الطريق، وإذا نشأ الطفل محاطًا بهما فسيكمل طريقه في ثبات، ومن شبّ عليه شيء شاب عليه.

جهاز إدارة المدينة القديمة طرابلس في زيارة لمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

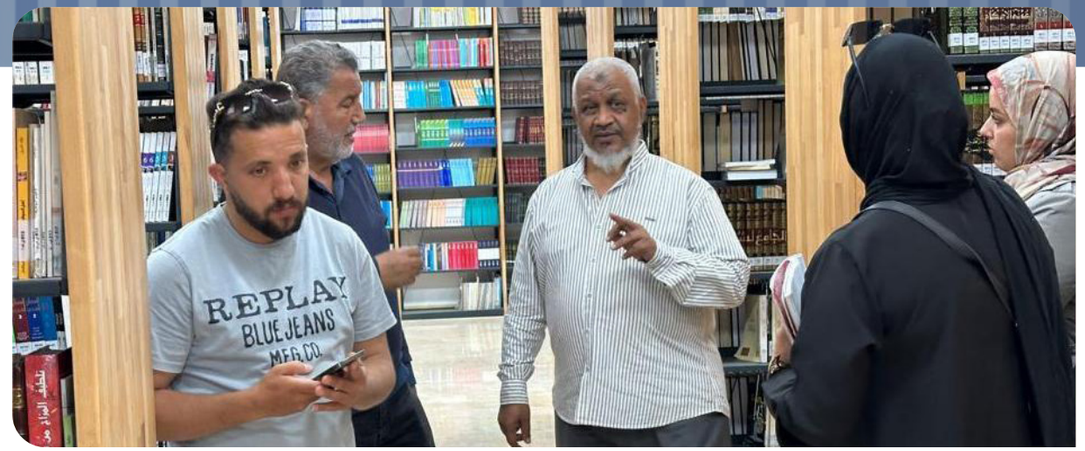

في إطار جهوده المستمرة في التواصل مع المؤسسات والهيئات لتعزيز التعاون والتبادل في المجالات المشتركة، يواصل مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب استقبال الوفود التي تزور المركز الذي أصبح مؤسسة رائدة في العمل الثقافي الليبي.

وقد استقبل المركز وفدا زائرا كريما من إدارة جهاز المدينة القديمة طرابلس، ضم كل من رئيسه المهندس: يوسف الخوجة، والمهندسة: غادة الشيباني، والمهندسة: سندس المصراتي

جاءت هذه الزيارة في إطار مد جسور التعاون الثقافي والمعرفي بين المؤسسات المهتمة بالتراث الثقافي الليبي وعالم الكتاب والمكتبات، و الاطلاع على تجربة مركز الشيخ علي الغرياني في إنشاء وإدارة مكتبة عامة تخدم الباحثين والقراء وفق معايير عالية، وتوفر فضاءً معرفيًا مفتوحًا للجمهور. وقد استهل الوفد زيارته بجولة ميدانية شملت أقسام المركز المختلفة من قسم المكتبة إلى قاعات المحاضرات والنشاطات والمرافق المختلفة، حيث تلقى إحاطة شاملًة حول تاريخ تأسيس المكتبة، وآليات تنظيمها، ومحتواها ومصادرها المتنوعة، بالإضافة إلى الخدمات التي تقدمها للزوار من مختلف الفئات العمرية وشرائح المجتمع، وكذلك الخطط المستقبلية لتوسيع وتطوير الخدمات.

وفي المقابل، قدم وفد الجهاز عرضًا عن مكتبة جهاز المدينة القديمة، وأبرز نشاطاتها الثقافية والتوثيقية، كما أهدى المركز عددًا من أحدث إصدارات الجهاز المتعلقة بتاريخ وتراث مدينة طرابلس القديمة الضارب في القدم والعراقة والتاريخ، والحفاظ على الذاكرة الوطنية.

وفي ختام الزيارة، أكد الجانبان على أهمية تعزيز التواصل والتنسيق المشترك من أجل الارتقاء بمستوى المكتبات في ليبيا، وتفعيل دورها التربوي والثقافي في المجتمع، بما يشمل تنظيم الفعاليات، وتبادل المطبوعات، وتشجيع المبادرات الشبابية المرتبطة بالقراءة والبحث العلمي.

تجدر الإشارة إلى أن جهاز إدارة المدينة القديمة طرابلس مقره بمدينة طرابلس هو مؤسسة رسمية تتبع رئاسة الوزراء وتُعنى بالحفاظ على الهوية التاريخية والمعمارية للمدينة القديمة في طرابلس، حيث يعمل على صيانة المباني التاريخية، وتأهيلها لتكون فضاءات ثقافية نشطة، كما يضطلع الجهاز بمهمات توثيق المعالم التاريخية، وإدارة الموروث الثقافي المادي وغير المادي للمدينة، وللجهاز نشاط في عالم النشر والكتب أيضا إذ أصدر عديد الدراسات والأدلة والكتب حول المدينة القديمة وتراثها.

وتكمن أهمية هذه الزيارات المتبادلة في دعم التعاون بين المؤسسات الثقافية الليبية، وتنظيم أنشطة وفعاليات مشتركة، ويفتح مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب أبوابه لكافة المؤسسات التي تحمل الهم الثقافي في ليبيا، لعقد الشراكات ومد جسور التعاون.

من محاضرات المركز:

مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي

قدم قسم النشاطات والفعاليات في مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب محاضرة بعنوان: "قراءة في كتاب: مقاومة الطوارق للاستعمار الفرنسي في الصحراء الكبرى" قدمها مؤلف الكتاب د. محفوظ أغ عدنان، المختص في الدراسات الأفريقية والباحث في تاريخ الصحراء الكبرى.

وقد أضاءت المحاضرة جانبا مغيبًا من تاريخ الطوارق في ليبيا والصحراء الكبرى وكفاحهم ضد المحتل الفرنسي، من خلال الدراسة العلمية التي ألفها د. محفوظ والتي غطت الفترة بين عامي 1880 و 1960م، وقد تناولت بداية المقاومة للعدوان الاستعماري الفرنسي لأراضي الطوارق، والذي بدأ في العام 1880م، عند محاولة العقيد فلاترس اجتياز الصحراء، ووقفت له المقاومة الطارقية بالمرصاد، فأعاد الكرة في العام التالي 1881م واستمرت المقاومة في أطوار وأحداث مختلفة وطويلة

كما أشار المحاضر للنظم الإدارية الفريدة للطوارق، حيث كان لدى الطوارق أو أمازيغ الصحراء منذ عشرات القرون نظام سياسي على شكل اتحاد كونفدرالي، جمع بين سلطناتهم والتي كانت تضمُّ كل واحدة منها قبائل متعددة، وهي بدورها تتكون من عدة عشائر وبطون، وهي ما يُعرف في لغة تَماشَقْ بـ"اطبل"، ويعرف حاكم

السلطنة بـ"أمَنُوكَالْ" وجمعه "إيمنوكالن". ولكل قبيلة أو عشيرة شيخٌ يحكمها، ومن بين شيوخ القبائل يُنتخَبُ زعيم السلطنة، ويُختَار من ضمن زعماء السلطنات واحد يصبح هو "أمنوكال العام". وقد ساد هذا الوضع على نمط متعارف عليه بينهم حتى مجيء الاستعمار الفرنسي.

لقد قدَّم المجتمع الطارقي أعدادًا غفيرة من رجاله، خضبت دماؤهم الزكية الأرض شهداء أثناء مقاومتهم للاستعمار الفرنسي، وكانت مدنهم مثل تمنغاست وتيت وأنَّ صلاح وتيدكلت وتمبكتو وجاو وميناكا وأضرنبوكار وكيدال وأغاديز وطاوا وأودالن وجانيت مسرحًا لممارسات قمعية عديدة، مارسها المحتل الفرنسي بأبشع الصور لإخماد المقاومة والثورات الطارقية المتتالية على القوات الاستعمارية الفرنسية.

كما تطرقت المحاضرة إلى سياسة التجهيل التي اتبعتها فرنسا في التعامل مع مدن ومناطق الطوارق، فلم تنشئ مدارس أو مرافق فيها، كما تعمدت تغييب دورهم التاريخي ومحاولة تفكيك نظمهم الإدارية الخاصة.

وتأتي هذه المحاضرة في إطار سلسلة من المحاضرات والندوات والجلسات الحوارية التي يعقدها مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب، لإثراء المشهد الثقافي وتقديم رؤى وأفكار مهمة للمتابعين والرواد عبر مناقشة أصحابها أو المهتمين بها، وفي هذا الصدد عقدت عديد الفعاليات من أهمها:

- جلسة حوارية بعنوان:

"المرجعية الكونية ومفهوم الإنسان .. قراءة نقدية للحداثة الغربية"

مع الأستاذ: إبراهيم الجربوعي.

- محاضرة بعنوان:

"شرح البرهان في علوم القرآن" للإمام الزركشي

مع الدكتور: أحمد الكبتي

- جلسة حوارية بعنوان:

قراءة في كتاب: "التعليم والاستعمار"
لمؤلفه: مصطفى هندي

مع الدكتور: محمود سلامة

- جلسة مدارسة:

حول كتاب "منهاج الإعداد"
للمؤلف: محمد سعيد بكر

مع الأستاذ: بلال العبيدي

- محاضرة بعنوان:

التباينات في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية

مع الأستاذ: أحمد مولانا.

- جلسة مدارسة:

كتاب: "صادق بكة"
لوجدان العلي

مع الأستاذة: نسيبة عرفة.

انطلاق المسابقة الصيفية لمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

نظم مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب، المسابقة الثقافية الصيفية في موسمها الرابع على التوالي، وقد تفرعت المسابقة إلى ثلاثة أقسام لتخطي فئات وأعمار مختلفة، وميادين ثقافية متنوعة، وأساليب تنافسية تجمع البحث والحفظ والتعلم، وقد جاءت الأقسام كما يلي:

القسم الأول: كتابة البحوث

وقد وضعت اللجنة المشرفة على المسابقة ثلاثة محاور ومواضيع ليختار منها الباحثون والمشاركون عنوانا لمشاركاتهم البحثية وأوراقهم العلمية، وذلك للتشجيع على الكتابة العلمية والبحث الأكاديمي وطرق مواضيع جادة وقضايا ملحة، وجاءت المحاور الثلاثة وفق الآتي

الإدمان على الألعاب الإلكترونية لدى المراهقين وسبل العلاج .. (رصد للظاهرة ومدى خطورتها وعلامات الإدمان وكيفية العلاج).

ل العلاج بالطاقة علم حقيقي أم مزيف ؟ (كشف لطبيعة العلاج بالطاقة ومدى موافقته للمنهج العلمي التجريبي)

العمل التطوعي في ليبيا بعد ثورة فبراير .. (دراسة لعوامل النجاح وعوائق الممارسة)

واشترط في كتابة البحث أن تلتزم بقواعد البحوث العلمية، وأن تسلم قبل تاريخ 31/8/2025م، ورصدت جوائز مالية للفائزين الثلاث الأوائل تتراوح بين 2000 دينار و1000 دينار.

القسم الثاني: مختارات من شعر العصور الأولى

أما القسم الثاني من المسابقة فجاء أدبيا خالصا، إذ يختبر فيه المتسابقون في تدارس أحد الكتب الرائدة المعنية بالشعر العربي، وهو كتاب «قلادة الأديب.. مختارات شعرية من العصور الأولى مع تعاليق تكشف معانيها وتضي معمّياتها» وهو كتاب من تأليف الأستاذين: سليمان العبودي، وعثمان العمودي، ويضم مختارات شعرية مع شرحها شرحا مبسطا يقرب معانيها ويكشف مكامن الإبداع البلاغي فيها.

ويختبر المتسابقون على مرحلتين تحريرية وشفوية، وقد رصدت ثلاث جوائز مالية للفائزين الأوائل هي: 1500 دينار للفائز بالمركز الأول، و1000 دينار لمن جاء ثانيا في الترتيب، و700 دينار للمركز الثالث.

القسم الثالث: حفظ منظومة أبي إسحاق الألبيري

وقد خصص هذا القسم للأطفال والفتيان ممن هم دول الـ14 عاما، مراعاة لفارق العمر والقدرات، وتشجيعا لهذه الفئة على حفظ الشعر الهادف وتقوية لغتهم ومعارفهم بالاستزادة من فنون الأدب، ومنظومة الألبيري أو تائية الألبيري هي قصيدة مشهورة معروفة في الحث على العلم والتعلم والأخلاق واحتوت كثيرا من الحكم والمواعظ، حيث يقول فيها:

وتُفقَدُ إن جهِلتَ وأنتَ باقٍ :: وتُوجَدُ إن عَلِمْتَ وقدْ فُقِدتا

ويختبر المتسابقون على مرحلتين أولاهما اختبار تحريري، ثم آخر شفوي، ورصدت للفائزين الثلاثة الأوائل جوائز مالية هي 1000 دينار للمركز الاول، و700 للمركز الثاني، و500 للمركز الأول.

وقد عرفت المسابقة مشاركة واسعة وإقبالا كبيرا من الجنسين، ومن مختلف الأعمار، والذين اجتهدوا وأجادوا في اختباراتهم وإجاباتهم عن أسئلة المحكّمين، وفي 6 سبتمبر 2025م، في أجواء احتفالية حضرها جمع من المتسابقين وأولياء الأمور ورواد المركز، أقيم حفل توزيع الجوائز وتسليم الشهادات، وكان على رأس الحفل مدير المركز الدكتور نزار عثمان الذي تفضل بتكريم الفائزين وشكرهم وتحفيزهم على بذل المزيد من الجهد في سبيل العلم وطلبه واكتساب المعرفة وتنمية المهارات والارتقاء بالأفكار.

الرسوم المتحركة وأثرها على تنشئة الأطفال

بقلم:
نزار محمد عثمان

مدخل:

يلعب الإعلام في عصرنا دوراً هاماً في صياغة الأفراد والمجتمعات، ذلك أنه أصبح أداة التوجيه الأولى التي تَزَاجَع أمامها دور الأسرة وتقلص دونها دور المدرسة، فأصبحت الأسرة والمدرسة في قبضة الإعلام، يتحكم فيها.. توجيهاً للأدوار.. ورسماً للمسار... ولما كان التلفاز يقدم المادة المرئية والمسموعة والمقروءة معاً.. كان أكثر وسائل الإعلام نفيراً، وأعظمها تأثيراً، ولما كانت الطفولة ناشدة للهو والترفيه، قابلة للانقياد والتوجيه، وجدت في التلفاز بديلاً مؤنساً عن أُمٍّ تخلت أو أبٍ مشغول(1)، فأصبحت «مشاهدة التلفزيون ثاني أهم النشاطات في حياة الطفل بعد النوم»(2)، بل أثبتت إحدى الدراسات أن نسبة 30% من أطفال أحد أكبر المدن الإسلامية من حيث عدد السكان(3) يقضون أمام شاشات التلفزيون وقتاً أطول مما يقضونه في مدارسهم: «عندما يكمل الطفل دراسته الثانوية يكون قد قضى 22 ألف ساعة من وقته أمام شاشة التلفزيون و11 ألف ساعة فقط في غرف الدراسة»(4)، كما بينت الدراسة أن الرسوم المتحركة تمثل نسبة 88% مما يشاهده الأطفال(5).

إن أهمية دراسة أثر الرسوم المتحركة على الأطفال لا تأتي فقط من كونها تشكل النسبة الأعلى لما يشاهدونه، بل تأتي كذلك من أن قطاعاً كبيراً - من الآباء الملتزمين والأمهات الصالحات - لا ينتبه لخطورة أثرها على الأطفال، فيلجأ إلى شغل أوقات الصغار بها هرباً من عُري الفضائيات وتفسخها والتماساً لملاذ أمين وحصنٍ حصين.. يجد فيه الأمن على أبنائه، وتأتي كذلك من سرعة تفاعل الأطفال مع مادتها وشدة حرصهم على متابعتها.. وزيادة ولعهم بتقليد أبطالها، «إن أشرطة الأطفال وخاصة الرسوم المتحركة تعمل عملها في تلقين الطفل أكبر ما يمكن من معلومات، وأشرطة الفيديو والتسجيلات تنفذ محتوياتها إلى سمع الطفل وفؤاده وتنقش فيه نقشاً(6)، والطفل يأخذ ويتعلم ويتفاعل بسرعة مذهلة، «إن حصيلة ما يتلقفه الطفل من معلومات ما بين ازدياده - أي بعد الفطام - إلى سن البلوغ (الرابعة عشرة) تفوق كل ما يتلقاه بعد ذلك من علم ومعرفة بقية عمره مهما امتد عشرات السنين»(7)، إذا وضعنا هذا في الحسبان، فلا عجب أن يعتبر كثيرٌ من علماء الاجتماع تجارب الطفولة محدداً أساسياً من محددات السلوك البشري.

أولاً: إيجابيات مشاهدة الرسوم المتحركة:

إن مشاهدة الرسوم المتحركة تفيد الطفل في جوانب عديدة، أهمها أنها:

[1] تنمي خيال الطفل، وتغذي قدراته(8)، إذ تنتقل به إلى عوالم جديدةلم تكن لتخطر له ببال، وتجعله يتسلق الجبال ويصعد الفضاء ويقتحم الأحراش ويسامر الوحوش، كما تعرفه بأساليب مبتكرة متعددة في التفكير والسلوك.

[2] تزود الطفل بمعلومات ثقافية منتقاة وتسارع بالعملية التعليمية(9): فبعض أفلام الرسوم المتحركة تسلط الضوء على بيئات جغرافية معينة، الأمر الذي يعطي الطفل معرفة طيبة.. ومعلومات وافية، والبعض الآخر يسلط الضوء على قضايا علمية معقدة - كعمل أجهزة جسم الإنسان المختلفة - بأسلوب سهلٍ جذاب، الأمر الذي يكسب الطفل معارف متقدمة في مرحلة مبكرة.

[3] تقدم للطفل لغة عربية فصيحة - غالباً -، لا يجدها في محيطه الأسري، مما ييسر له تصحيح النطق وتقويم اللسان وتجويد اللغة، وبما أن اللغة هي الأداة الأولى للنمو المعرفي فيمكن القول بأن الرسوم المتحركة - من هذا الجانب - تسهم إسهاماً مقدراً غير مباشر في نمو الطفل المعرفي.

تلبي بعض احتياجات الطفل النفسية وتشبع له غرائز عديدة مثل غريزة حب الاستطلاع؛ فتجعله يستكشف في كل يوم جديداً، وغريزة المنافسة والمسابقة فتجعله يطمح للنجاح ويسعى للفوز.

ثانياً: سلبيات مشاهدة الرسوم المتحركة

لمشاهدة الرسوم المتحركة سلبيات عديدة أهمها:

[1] **سلبيات التلفاز:** بما أن التلفاز هو وسيلة عرض الرسوم المتحركة؛ فمن الطبيعي أن تشارك الرسوم المتحركة التلفاز سلبياته والتي من أهمها:

(1) التلقي لا المشاركة: ذلك أن التلفاز يجعل الطفل «يفضل مشاهدة الأحداث والأعمال على المشاركة فيها»(10) ـ خلافاً للكمبيوتر الذي يجعل الطفل يفضل صناعة الأحداث لا المشاركة فيها فقط ـ ولعل هذا الأثر السالب لجهاز التلفاز هو الذي يفسر لنا لماذا قنع الكثيرون ـ في أمتنا الإسلامية ـ بالمشاهدة دون المشاركة.

(2) إعاقة النمو المعرفي الطبيعي(11): ذلك أن المعرفة الطبيعية هي أن يتحرك طالب المعرفة مستخدماً حواسه كلها أو جلها، ويختار ويبحث ويجرب ويتعلم (قل سيروا في الأرض فانظروا..)، لكن التلفاز ـ في غالبه ـ يقدم المعرفة دون اختيار ولا حركة، كما أنه يكتفي من حواس الطفل بالسمع والرؤية، ولا يعمل على شحذ هذه الحواس وترقيتها عند الطفل، فلا يعلمه كيف ينتقل من السماع المباشر للسماع الفعّال، من الكلمات والعبارات إلى الإيماءات والحركات، ثم إلى الأحاسيس والخلجات.

(3) الإضرار بالصحة: فمن المعلوم أن الجلوس لفترات طويلة واستدامة النظر لشاشة التلفاز لها أضرارها على جهاز الدوران والعينين.

(4) تقليص درجة التفاعل بين أفراد الأسرة: «إن أفراد الأسرة كثيراً ما ينغمسون في برامج التلفزيون المخصصة للتسلية لدرجة أنهم يتوقفون حتى عن التخاطب معاً»(12).

[2] تقديم مفاهيم عقدية وفكرية مخالفة للإسلام: إن كون الرسوم المتحركة موجهة للأطفال لم يمنع دعاة الباطل أن يستخدموها في بث أفكارهم، وللتدليل على ذلك نذكر مثال الرسوم المتحركة الشهيرة التي تحمل اسم «آل سيمسونز The Simpsons لصاحبها مات قرونينق Matt Groening، الذي صرّح أنه يريد أن ينقل أفكاره عبر أعماله بطريقة تجعل الناس يتقبلونها، وشرع في بث مفاهيم خطيرة كثيرة في هذه الرسوم المتحركة منها: رفض الخضوع لسلطة (الوالدين أو الحكومة)، الأخلاق السيئة والعصيان هما الطريق للحصول على مركز مرموق، أما الجهل فجميل والمعرفة ليست كذلك، بيد أن أخطر ما قدمه هو تلك الحلقة التي ظهر فيها الأب في العائلة Homer Simpson وقد أخذته مجموعة تسمي نفسها (قاطعي الأحجار)!! عندما انضم لهم الأب، وجد أحد الأعضاء علامة في الأب رافقته منذ ميلاده، هذه العلامة جعلت المجموعة تقدسه وتعلن أنه الفرد المختار، ولأجل ما امتلكه من قوة ومجد، بدأ Homer Simpson يظن نفسه أنه الرب حتى قال: «من يتساءل أن هناك رباً، الآن أنا أدرك أن هناك رباً، وأنه أنا»، ربما يقول البعض أن هذه مجرد رسوم متحركة للأطفال.. تسلية غير مؤذية، لكن تأثيرها على المستمعين كبير مما يجعلها حملة إعلامية ناجحة.. تلقن السامعين أموراً دون شعورهم.. وهذا ما أقره صانع هذه الرسوم المتحركة»(13).

كذلك تعمد بعض الرسوم المتحركة إلى السخرية من العرب والمسلمين، ومثال ذلك بعض حلقات برنامج الرسوم المتحركة المعروف باسم سكوبي دو «Scobby Doo » والمملوك لـ William Hanna و Joseph Barbera الذين طبّقت شهرتهما الآفاق بعد نجاح رسومهما المتحركة «توم أند جيري»، في إحدى الحلقات «يفاخر ساحر عربي مسلم عندما يرى اسكوبي بقوله : «هذا ما كنت أنتظره تماماً، شخصٌ أمارس سحري الأسود عليه»، ويبدي الساحر المسلم رغبته في تحويل سكوبي إلى قرد، لكن السحر ينقلب على الساحر ويتحول الساحر نفسه إلى قرد، ويضحك سكوبي وهو يتحدث مع نفسه قائلاً: «لا بد أن ذلك الساحر المشوش ندم على تصرفاته العابثة معنا»، ومرة أخرى في حلقة سكوبي دو تقوم مومياء مصرية بمطاردة سكوبي ورفاقه. ويرتابون في أن المومياء نفسها حولت صديقهم الدكتور نسيب ـ العربي المسلم ـ إلى حجر، وفي النهاية يستميل سكوبي المومياء ويلقي بها في إحدى شباك كرة السلة، ولكن عندما يكشف النقاب عن المومياء يجد أنها ـ لدهشة سكوبي ـ لم تكن مومياء بل الدكتور نسيب نفسه الذي أراد سرقة قطعة عملة ثمينة من سكوبي متنكراً في زي مومياء، أي أن سكوبي يريد إنقاذ مسلم يود سرقته، لقد بلغ المسلم هذا الحد من الرداءة «(14).

[3] العنف والجريمة: إن من أكثر الموضوعات تناولاً في الرسوم المتحركة الموضوعات المتعلقة بالعنف والجريمة، ذلك أنها توفر عنصرى الإثارة والتشويق اللَذَيْن يضمنا نجاح الرسوم المتحركة في سوق التوزيع، ومن ثم يرفع أرباح القائمين عليها، غير أن مشاهد العنف والجريمة لا تشد الأطفال فحسب، بل تروّعهم، «إلا أنهم يعتادون عليها تدريجياً، ومن ثم يأخذون في الاستمتاع بها وتقليدها، ويؤثر ذلك على نفسياتهم واتجاهاتهم التي تبدأ في الظهور بوضوح في سلوكهم حتى في سن الطفولة، الأمر الذي يزداد استحواذاً عليهم عندما يصبح لهم نفوذ في الأسرة والمجتمع»(15)، وقد أكدت دراسات عديدة أن هناك ارتباطاً «بين العنف التلفزيوني والسلوك العدواني، ومن اللافت للنظر اتفاق ثلاثة أساليب بحثية هي : الدراسة المختبرية، والتجارب الميدانية، والدراسة الطبيعية على ذات النتيجة العامة، وهي الربط بين العدوان ومشاهدة التلفزيون حيث يتأثر الجنسان بطرق متشابهة»(16)، وقد عانت المجتمعات الغربية من تفشي ظاهر العنف، ونقلت وسائل الاعلام ـ ولا تزال تنقل ـ أخبار حوادث إطلاق النار في المدارس، والسبب ـ كما أخبر مراهق روماني اختطف طفلا عمرة 11 عاماً وضربه حتى الموت ـ هو مشاهدة شيء مشابه على شاشة التلفزيون (17).

[4] إشباع الشعور الباطن للطفل بمفاهيم الثقافة الغربية: إن الطفل عندما يشاهد الرسوم المتحركة التي هي ـ في غالبها ـ من إنتاج الحضارة الغربية، لا يشاهد عرضاً مسلياً يضحكه ويفرحه فحسب، بل يشاهد عرضاً ينقل له نسقاً ثقافياً متكاملاً يشتمل على:

(1) أفكار الغرب: إن الرسوم المتحركة المنتجة في الغرب مهما بدت بريئة ولا تخالف الإسلام، إلا أنها لا تخلو من تحيز للثقافة الغربية، هذا التحيز يكون أحياناً خفياً لا ينتبه إليه إلا المتوسمون، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: «فقصص توم وجيري تبدو بريئة ولكنها تحوي دائماً صراعاً بين الذكاء والغباء، أما الخير والشر فلا مكان لهما وهذا انعكاس لمنظومة قيمية كامنة وراء المنتج، وكل المنتجات الحضارية تجسد التحيز»(18)، و الرسوم المتحركة في أكثر الأحيان تروج للعبثية وغياب الهدف من وراء الحركة و السلوك، والسعي للوصول للنصر والغلبة ـ في حمي السباق والمنافسة ـ بكل طريق، فـ(الغاية تبرر الوسيلة)، كما تعمل على تحريف القدوة وذلك بإحلال الأبطال الأسطوريين محل القدوة بدلاً من الأئمة المصلحين والقادة الفاتحين، فتجد الأطفال يقلدون الرجل الخارق Super man ، والرجل الوطواط Bat man ، والرجل العنكبوت Spider man ، ونحو ذلك من الشخصيات الوهمية التي لا وجود لها، فتضيع القدوة في خضم القوة الخيالية المجردة من بعدٍ إيماني.

(2) روح التربية الغربية: إننا إن تجاوزنا عن ترويج الرسوم المتحركة للأفكار الغربية، فلا مجال للتجاوز عن نقلها لروح التربية الغربية، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: «أما برامج الصغار وبعض برامج الكبار فإنها تبث روح التربية الغربية، وتروج التقاليد الغربية، وترغب بالحفلات والأندية الغربية»(19)، ذلك أنها لا تكتفي بنقلها للمتعة والضحكة والإثارة بل تنقل عادات اللباس من ألوان وطريقة تفصيل وعري وتبرج، وعادات الزينة من قصة شعر وربطة عنق، ومساحيق تجميل، وعادات المعيشة من ديكور وزخرفة، وطريقة أكل وشرب، وثمل ونوم وحديث وتسوق ونزهة، وعادات التعامل من عبارات مجاملة واختلاط، وعناق وقبلات، ومخاصمة وسباب وشتائم، ونحو ذلك من بقية مفردات النسق الثقافي الغربي.

هذا النسق الثقافي المغاير يتكرر أمام الطفل كل يوم فيألفه ويتأثر به، ويطبقه في دائرته الخاصة، حتى إذا ما تكاملت شخصيته لم يجد منه فكاكاً فصار نهجاً معلناً ورأياً أصيلاً لا دخيلاً!!ـ كيف لا؟ وقد عرفه قبل أن يعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا ـ فلا يجد حرجاً في الدفاع عنه والدعوة إليه بل والتضحية من أجله.

ثالثاً: المخرج والعلاج:

لتلافي سلبيات مشاهدة الرسوم المتحركة يجب الاهتمام بالآتي:

[1] تعميق التربية الإسلامية في نفوس الأطفال: فالحق أبلج والباطل لجلج.. ومتى وجد الطفل الفكرة الصحيحة.. وقعت في نفسه موقعاً طيباً.. ذلك أنه وُلد على الفطرة، والإسلام هو دين الفطرة.. والأفكار المنحرفة لا تسود إلا في غياب الفكرة الصحيحة.. «فإذا جرى تقديم منظور إسلامي عن طريق تثقيف الأطفال وتعليمهم عن القيم الإسلامية ودستور الحياة الإسلامي، فإنهم سيكتسبون موقفاً مبنياً على تقييمٍ ناقد لوسائل الإعلام من وجهة نظر إسلامية، ويمكن تقديم هذا النوع من التربية ذات التوجه

الإسلامي في الأسرة والمدرسة وكذلك في المرافق الموجودة في المجتمع»(20). «وإذا قدم الآباء للأطفال نموذج دور لسلوك إسلامي منضبط، وأوضحوا للأطفال أن الجرائم والعنف والحياة المنحلة أمور غير مرغوب فيها، فإن الأطفال يكبرون وهم يحملون مواقف إيجابية، ويتحلون بنفسية تحميهم من الآثار السالبة لوسائل الإعلام، إن أفضل السبل لإبطال تأثير التلفزيون هو قيام الآباء والمعلمين بتثقيف الأطفال وتهذيبهم»(21)، «إن الأسرة والمجتمع يمكن أن يسهما في صياغة قالب لموقف عقلي إيجابي وظاهرة نفسية بناءة في الأطفال، ولهذا الدور أبعاد متعددة هي:

أولاً: البعد الأسري: على الآباء وأفراد الأسرة إعلام الأطفال عن القيم الإسلامية بأسلوب يستطيع الأطفال إدراكه، كما يجب إبراز النماذج الاسلامية للأدوار في وقت مناسب بأسلوب لائق.

ثانياً: يجب أن تتخذ ترتيبات من كتب جرى تأليفها من منظور إسلامي، وإذا لم يتم ذلك في المدارس، كما هو الحال في المجتمعات غير الإسلامية، فبالإمكان تنظيم حصص لدروس إسلامية في عطلة نهاية الأسبوع، أو ربما يمكن تنظيم دروس خاصة في البيت بطريقة ناجعة، ويقتضي دعم التلقين الشفوي الذي يمارسه الآباء وأفراد الأسرة بمواد للمطالعة عندما يبلغ الأطفال هذا السن.

ثالثاً: إن ممارسة المعايير المزدوجة أمر بالغ الضرر ومن ثم يجب تفاديه إذ سيعمد الأطفال بطبيعة الحال إلى تقليد الآباء، ومن ثم فإن تعليم الأطفال الأمور التي لا يمارسها الآباء لن يعود بأية فائدة، وعلى الآباء أن يقدموا أنفسهم كنماذج أدوار قابلة للتكيّف»(22).

[2] تقليل مدة مشاهدة الأطفال للرسوم المتحركة: إن مشاهدة الأطفال للرسوم المتحركة -وللتلفاز عموماً- ينبغي أن لا يتجاوز متوسطها 3 ساعات أسبوعياً، هذه الفترة المتوسطة تعلم الطفل كيف يختار بين البدائل الموجودة، وتعلمه الاتزان والتخطيط وكيفية الاستفادة من الأوقات. كما أنها -إذا أُحسن الاختيار- تدفع عنه سلبيات التلفاز والرسوم المتحركة المذكورة آنفاً.

[3] إيجاد البدائل التي تعمق الثقافة الإسلامية: وذلك بدعم شركات إنتاج الرسوم المتحركة التي تخدم الثقافة الاسلامية وتراعي مقومات تربيتها، ولا تصادم غزائز الطفل بل توجهها وجهتها الصحيحة:

فغريزة الخوف يمكن أن توجه إلى خشية الله وتقواه ومراقبته، والحذر من ارتكاب الجريمة، والحياء من الإقدام على المنكرات، وغريزة حب الاستطلاع يمكن أن توجه إلى الوقوف على آثار قدرة الله في السموات والأرض والآفاق، وإلى حكمة الله وتقديره لأمر المخلوقات والكائنات، وغريزة المنافسة: يمكن أن توجه للمسارعة في الفضائل، والمسابقة في تحصيل العلم والمعارف، وشغل الفراغ بالنافع.

وعواطف الطفل يمكن أن توجه نحو حب الانتماء للحضارة الإسلامية بكل خصائصها الدينية وقيمها الأخلاقية ومكوناتها اللغوية والتاريخية. وبغض الكفر والإلحاد.

وغريزة التقليد والبحث عن القدوة يمكن أن توجّه للتأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، والأئمة المصلحين، والقادة الفاتحين على مر العصور... وهكذا كل الغرائز توجه إلى وجهتها الصحيحة.. تحقيقاً للإيمان.. واتساقاً مع الفطرة.

خاتمة:

إن تأثير الرسوم المتحركة على الأطفال كبير خطير، ذلك أن لها إيجابيات وسلبيات، تعمل كل واحدة منهن عملها في الطفل، غير أن المسجد والأسرة والمدرسة إن أُحسن استغلالهم.. وتكاملت أدوارهم.. يمكن أن يلعبوا دوراً رائداً في التقليل من خطرها.. والتبصير بأوجه ترشيد استخدامها.. لتكون عنصر نماء، و سلاح بناء.. وسلم ارتقاء إلى كل ما يحبه الله و يرضاه من سبق وريادة.. وإدارة وقيادة.. ومنعة وسيادة.

المراجع

(1) يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة المعلم الشهيرة:
ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له أماً تخلت أو أباً مشغولا

(2) وسائل الإعلام والأطفال وجهه نظر إسلامية، د. أبو الحسن صادق، ص 1.

(3) هي مدينة كراتشي الباكستانية.

(4) المرجع السابق، نقلاً عن Jack G. Shaheen, The Arab TV , University of Popular Press, Ohio, 1984, P21

(5) وسائل الإعلام والأطفال، مرجع سابق، ص 16.

(6) في أية مرحلة تبدأ التربية، الأستاذ عبد الهادي أبو طالب، ص 4.

(7) المرجع السابق، ص 4.

(8) قضايا الطفل في المجتمعات المعاصرة، د. محمد فاروق النبهان، ص 8.

(9) وسائل الإعلام والأطفال، مرجع سابق.

(10) نظرة إسلامية حول تربية الطفل وحمايته في القرن الواحد والعشرين، د. علي أوزاك، ود. محمد فاروق بيراقدار، ص 20.

(11) وسائل الاعلام والأطفال، مرجع سابق، ص 3.

(12) المرجع السابق، ص 3.

(13) How the world has been controlled مقال مترجم عن الإنجليزية.

(14) وسائل الإعلام والأطفال مرجع سابق، نقلاً عن Jack G Shaheen, The Arab TV, Bowling Green State Popular Press, Ohio, 1984, P 25.

(15) وسائل الإعلام والأطفال رؤية اسلامية، مرجع سابق، ص 5.

(16) المرجع السابق، ص 7.

(17) انظر صحيفة Malay Mail عدد 27 مايو عام 1997م.

(18) مجلة الإسلام وفلسطين، العدد 55، حوار مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، حاوره ممدوح الشيخ.

(19) قضية الأحداث، د. وهبة الزحيلي، ص 6.

(20) وسائل الإعلام والأطفال، مرجع سابق، ص 14.

(21) المرجع السابق، ص 23.

الإسلام والعلاقات الدولية

بقلم:
حسن سلمان

توطئة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ليكون للعالمين نذيرا ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين هاديا ودليلا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، حيث أقام للحق دعوة ودولة وحضارة ، وهدم الله به الباطل وبدد به الظلمات ، وأنار به الدنيا فخرج الناس به من الظلمات والضلال إلى النور والهدى، ومن الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان ، ومن التعاون على الإثم والعدوان إلى التعاون على البر والتقوى، فكانت رسالته هدى ورحمة للعالمين، وميزان عدل وقسط للمختلفين المتباينين ومظلة سلام يفيء إليها الباحثون عن المعنى الأبدي للوجود ، بعيدا عن مذاهب التيه وطرائق الضياع والشتات ، بحثا عن الحقيقة وبراهينها بالعقل والنقل والحس والتجربة دون سطوة الإكراه المادي والمعنوي لفرض العقائد والتصورات وفتنة الناس في دينهم ودنياهم.

علم العلاقات الدولية في سياق العلوم الوضعية يعد علما حديثا لم يتبلور في صورته المستقلة إلا في أواسط القرن العشرين وهو العلم الذي يدرس مكونات المجتمع الدولي ذات التأثير السياسي وبالتالي فمدار علم العلاقات الدولية هو الدول في علاقاتها الخارجية ولا تعلق له بالسياسات الداخلية ويدخل في ذلك جملة من الموضوعات ذات الطابع الدولي من مؤسسات ونظم وسياسات وقوانين ونظريات وغيرها.

وأما علم العلاقات الدولية في السياق الإسلامي فهو علم مبكر نشأ ليجيب عن التساؤلات التي اقتضتها طبيعة الفتوح الإسلامي في مساحات كبيرة وطبيعة العلاقات بين الولاية الإسلامية العامة (الخلافة) وغيرها من الأمم، وكان رائد هذا العلم الإمام محمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة) من خلال كتابه -السير الكبير- فقد بلور من خلاله أصول العلاقات الدولية وسبقت الأمة المسلمة بذلك غيرها من الأمم في هذا المجال وإن اختلفت طبيعة الموضوعات التي يدرسها في الإطار الإسلامي فهو يتناول علاقات الدول والأمم ببعضها سلما أو حربا كما يتناول علاقات غير المسلمين في الدولة الإسلامية خلافا لطريقة التناول المعاصرة، وبما أن العلاقات الدولية ودراستها واسعة ومتشعبة يصعب اختزالها في مقال محكوم بسياقات محددة كما وكيفا ، وعليه سيتم في هذا المقال تناول الرؤية العقدية والفلسفية للعلاقات الدولية في الإسلام على أمل أن نواصل في الحديث عن القيم الحاكمة للعلاقات في مقال آخر -إن شاء الله تعالى-.

وإن النظر في مسألة العلاقات الدولية ودراستها تتطلب معرفة حقيقة الإنسان وطبيعته، هذا الكائن ذو الطبيعة المتفردة، التي تتسم بالمشيئة والفاعلية في إطار المشيئة الإلهية العامة والمطلقة، فلا هو كائن ملائكي مفطور على الطاعة ومسخر لها، ولا هو مخلوق شيطاني شرير لا يصدر عنه الخير مطلقا، ولا هو كائن طبيعي ينتسب إلى عوالم الأشياء التي هي محكومة بمنطق سنني حتمي لا يحيد عنه، فالإنسان مخلوق هيأه الله تعالى لتكون له القابلية على فعل الخير والشر قال تعالى:(قَد أَفلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَد خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) الشمس ٩-١٠، ولكن عمليا نجد الإنسان كثير التجاوز والتعدي والميل نحو الشرور إلا أن يصده عن ذلك العجز الذاتي أو الخوف من الردع والدفع الخارجي، وهو ما نبه إليه أبو الوفاء ابن عقيل قائلا:(رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز ، ولا أقول العوام بل العلماء) الفروع لابن مفلح /ج-

3ص22، وهو حقيقة الوصف الإنساني عندما لا ينضبط بالشرع ولا يلتزم بالفطرة السوية ، قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) الأحزاب /٧٢ ، وإذا كان هذا حال الإنسان وطبيعته وهو الواقع الذي نشاهده في حياتنا فإن أمر الدول لا يختلف عن أحوال الناس كثيرا ،لأن الدولة ليست لها شخصية مادية مستقلة عن الأفراد بل هي مجرد أداة في يد الإنسان وما هو أصل وطبع في الإنسان فهو أظهر في الدولة وأقوى لأن الدولة تتمتع بقدرات وسلطات هائلة لا يتمتع بها الفرد وهو ما نشاهده في العلاقات الدولية من تجاوزات وعداوات واستخدام للقوة لفرض الخيارات ونهب الموارد والثروات ، ولهذا جاءت الشريعة جامعة في أحكامها بين تشخيص الإنسان ونوازعه المختلفة ، باعتباره الفاعل الأهم في الاستخلاف والعمران ثم الارتقاء به ومعالجة اختلالاته ومنع عدوانه وفساده في مثالية واقعية تنشد الكمال بحسب الإمكان ، ونحاول في هذا المقال تناول بعض المعالم الأساسية حول العلاقات الدولية -الكونية- في الإسلام ورؤيتها العقدية ومنظورها الفلسفي ، وكيف يمكن لحركة الإسلام أن تكون فاعلة ومنفعلة بالمدافعات الدولية من خلال منظومتها الخاصة دون حالة الذوبان في منظومة الآخر ومؤسساته ، فتتحول الأمة الرسالية صاحبة الكتاب الخاتم إلى مجرد أدوات مستخدمة في مشاريع وسياسات القوى العالمية صاحبة النفوذ الأكبر في النظام الدولي المختل نشأة وتأسيسا وسلوكا وممارسة.

أولا:

الحكمة من ظاهرة التنوع البشري:

اقتضت الحكمة الربانية إلى وجود التنوع والتعدد البشري كما تشير لذلك كثير من الآيات القرآنية وأنه مقتضى المشيئة الإلهية، ويتخذ هذا التنوع أشكالا عدة:

التنوع الجنسي: كما في قوله تعالى (وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ) آل عمران: 33-

- التنوع العرقي والقومي: كما يتبدى في قوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات: 13

- التنوع اللغوي والإثني: كما في قوله جل شأنه (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ) الروم:22

- التنوع الديني: ويبدو في قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) الحج:17، وكذلك في قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) هود ١١٨-١١٩

وقد اخْتَلَفَ العُلَماءُ في المُشارِ إلَيْهِ بِقَوْلِهِ: "ذَلِكَ" فَقِيلَ: ﴿إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ﴾، وَلِلرَّحْمَةِ "خَلَقَهم"، والتَّحْقِيقُ كما أختاره العلامة الشنقيطي في تفسيره أنَّ المُشارَ إلَيْهِ هو اخْتِلافُهم إلى شَقِيٍّ وسَعِيدٍ المَذْكُورُ في قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ﴾ ولِذَلِكَ الِاخْتِلافِ خَلَقَهم فَخَلَقَ فَرِيقًا لِلْجَنَّةِ وفَرِيقًا لِلسَّعِيرِ)

ولما كان الخلق الإنساني متنوعا قدرا وكونا، وأن هذا التنوع قد يؤدي إلى الاختلاف والتجاوز والعدوان والتهارج والفساد، وهذا يتنافى مع الغاية المرادة للشارع من هذا التنوع وهي تحقيق (التعارف) الذي ورد في قوله تعالى (لتعارفوا) وأن التعارف مبناه على التواصل والتفاهم وفتح قنوات الحوار وصولا للمعروف واجتنابا للمنكر وبحثا في المشتركات النافعة ثم التعاون عليها، تحقيقا لمصالح العباد ودفعا للمفاسد عنهم، ومصداق ذلك قوله تعالى:(وتعاونوا.) هذه هي الغاية التي رسمها الشارع للتعامل مع ظاهرة التنوع البشري بأنواعه المختلفة تحقيقا للاستخلاف والتمكين المؤدي لعبادة الله تعالى والعمران في الأرض والحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة.

ولما كان الناس مختلفين في تصوراتهم ومفاهيمهم ومنطلقاتهم ونظرتهم للحياة ولموقعهم فيها ومصيرهم المستقبلي، فإن الشارع جل جلاله لم يترك أمر الناس هملا بلا هداية وجهلا في عماية، بل تتابع الرسل والرسالات منذ اللحظة الأولى لوجود البشر على وجه الأرض، لضبط بوصلة تفكيرهم وتحديد مسار عملهم سواء على الصعد الفردية أو الجماعية، وقد تطور الخطاب الديني مع تطور البشرية وأنماط حياتها بدءً من الأسرة ووصولا إلى التعارف الإنساني والانفتاح الكوني على النحو التالي:

1.انتقل الخطاب الديني بالإنسان من المشاهد والمشخص والتواصل المستمر مع السماء في تجدد دائم في الرسالات السابقة إلى التجريد والغيب في الرسالة الخاتمة ليكون مدخلها قوله تعالى:(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) البقرة/3 ، وهي السمة البارزة في الرسالة الخاتمة وبالتالي توقف الوحي والتتابع السماوي المباشر ليكون الكتاب المنزل هو العلاقة المستمرة مع السماء(حاكمية الكتاب) ، ولئن كانت الرسالات السابقة يقوم

سلطانها الدنيوي باختيار الله تعالى وهم الأنبياء الساسة (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي) متفق عليه، فإن الرسالة الخاتمة يقوم أمرها وسلطانها الدنيوي على اختيار الأمة ورضاها وشوراها في إطار حاكمية الكتاب.

2.وانتقل الخطاب الديني عبر مسيرته التاريخية من المحلية إلى العالمية فاتسعت رقعة الدعوة وميدانها (عالمية الخطاب) قال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء/107، كما انتقل الخطاب من القومية إلى الإنسانية فبدلا من الخطاب بمفردة (يا قوم) تحول الخطاب إلى (يا أيها الناس) وهو أول نداء في القرآن الكريم في سورة البقرة إيذانا بالعالمية والإنسانية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) البخاري و مسلم

3.وانتقل الخطاب الرسالي من شرعة الأغلال والآصار التي سادت الخطاب الموجه لبني إسرائيل إلى شرعة التيسير والرحمة التي هي خاصية الأمة الخاتمة ورسولها قال تعالى: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) الأعراف /157، (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) البقرة /185، (يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) النساء/ 28.

4.وانتقل الخطاب من المعجزات والبينات والبصائر المادية المرتبطة بالرسول وحياته إلى معجزة القرآن الخالدة والقائمة على حقائق العلم وقوة الحجة ومنطق المناظرة والحوار، ليخاطب عقل الإنسان كما يخاطب وجدانه قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت / 53

وخلاصة القول فإن الخطاب الديني الهادي للبشرية والموجه لمسيرتها الطويلة بلغ تمامه وكماله في الرسالة العالمية التي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام ، فصار الإنسان حيثما كان هو موضوع الرسالة والأرض حيثما كانت هي مجال تمددها وانتشارها ، بخصائصها المتعددة القائمة على أساس تقرير الحق وتنزيل الأمر وتبصير الخلق بالعاجل والآجل أي (المسيرة والمصير) ، في تواصل وتعارف إنساني بقصد الهداية والصلاح تصورا وممارسة في كافة سياقات الحياة الإنسانية، وبناءً على ذلك ندلف إلى الحديث عن العلاقات الإنسانية والدولية في الإسلام.

ثانيا: الرؤية العقدية والفلسفية للسياسة الدولية في الإسلام:

ترتكز المنظومات السياسية المحلية والدولية على منظور فلسفي وتصور عقائدي يحكم حركتها ويحدد قيمها ويضبط مسارات عملها ، حتى ولو ادعت بأنها متحررة من قيود الأيدولوجيا وأحكام الأديان ، ومحكومة بمنطق المصالح المحضة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن العلاقات الدولية أو الكونية والإنسانية في الإسلام ترتكز على تصور عقدي عماده الرسالة الهادية المعبرة عن مراد الله تعالى في الوجود البشري والطبيعي والذي هو حاكمية الكتاب) فهو خطاب يحمل رؤية متعالية خارج منظومة الصراعات والحظوظ البينية للخلق ليفصل بين النزاعات ويقسم الحقوق بعيدا عن منطق الأقوياء والضعفاء ، والأقليات والأكثريات ، أو الانتماءات الأرضية المختلفة ، وترتكز الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية على ثلاث مرتكزات أساسية تحكمها وهي:

1) وحدة الدين وحرية العقائد:

الإسلام ينطلق في رؤيته للوجود بأن لهذا الكون خالق مدبر مريد حاكم ، وله غاية وحكمة من خلقه للوجود وهذه الغاية هي التعرف عليه والخضوع لأمره وعبادته الواحد الأحد دون شريك ، وأنه لا مجال للعبثية والعدمية والجهالة في المسيرة والمصير ، ولأجل ذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب هادية للناس ومبينة لهم طرائق العيش في الدنيا وسبيل الفوز في الآخرة، وعليه فإن التوحيد هو الفكرة المركزية في طبيعة الدين المنزل ، وهي الجامعة بين الرسالات كافة وموحدة لأصولها ومصدرها ، وهذا الدين الواحد هو الإسلام الذي يدعو الناس جميعا الى توحيد الخالق ووحدة الأصل البشري ، وإن تعددت شرائعه ونحله وفي أي علاقة خاصة أو عامة يتم مراعاة هذا الأصل العظيم الذي يخاطب البشرية كافة دون حواجز مانعة من التوحد تحت راية التوحيد التي تتلاشى معها كافة أشكال الطبقية والتفاوت والاستعلاء والاستكبار في الأرض قال تعالى:(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)

آل عمران/١٩، وقال تعالى:(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) الشورى/ 13

وهذا يعني الالتقاء على كلمة سواء وهي كلمة التوحيد والإيمان ومفارقة الشرك والكفر، وترك كافة أشكال العلو في الأرض المانعة من الاستخلاف وعمارة الأرض

ومناقضة لمقصود الشارع في الوجود قال تعالى:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران/٦٤، ولكن الواقع البشري نجده بخلاف ذلك فالناس عمليا لا يتفقون على توحيد الله تعالى والتزام شرعه وبهذا يحصل التفرق في الدين وبالتبع التفرق في السياسة داخليا وخارجيا ، ومع ذلك يظل الإسلام متمسكا بوحدة الدين الرباني المقبول (دين الحق) ولكنه يقر بتعددية العقائد والأفكار وتعددية الأمم كذلك ، لأنه لا يحمل الناس على الإكراه في الدين وتنشأ بذلك رؤيته القائمة على الأمة ذات الرسالة الواحدة وهي الأمة المسلمة وولايتها على نفسها في الأرض التي تخضع لسلطانها ، وتحكم فيها شريعتها وتسمى دار الإسلام ، وفي مقابلها تكون دور الكفر بغض النظر عن موقفها من الإسلام والمسلمين حربا وسلما ، وهنا نشير بأن الإسلام يعتمد منظور الأمة باعتبارها الوحدة التي يدرس من خلالها السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية ولا يعتمد منظور الدولة القطرية أو القومية ، حتى ولو تعامل معها اضطرارا في طريق الانتقال للمنظور الأممي في العلاقات الدولية أو الكونية ، ويتم التعامل مع هذا التعدد الديني والتنوع العقدي بأنه ابتلاء يجب تجاوزه نحو التوحيد والوحدة والإخاء الإيماني المحقق للاستخلاف والعمران من خلال التعارف والتعاون على الخير العام والمدافعة لمنع الشر والعدوان.

2) وحدة الجنس البشري:

الإسلام يقرر بأن البشرية كلها من أصل واحد وهو آدم عليه السلام الكائن من طين وتراب، وهذا الأصل تفرع عنه زوجه ومن الزوجين تكاثرت البشرية شعوبا وقبائل ، ووحدة الأصل الإنساني يلغي كافة نظريات النقاء والاستعلاء العرقي والاستحقاق المبني على ذلك ، فلا تفاضل بين الشعوب والأفراد إلا بمعيار شرعي وهو التقوى الذي يمكن لكل مكلف السباق في مضمارها من خلال الصلاح الذاتي والإصلاح المجتمعي، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء/1، والنص القرآني يقرر وحدة الأصل البشري ووحدة الخالق الذي ينتمي إليه الخلق جميعا ، ولزوم تقواه برعاية الحقوق والتزام الحدود وترك البغي والعدوان ، مهما تنوعت دوافعه، وبما أنهم جاؤوا إلى الوجود والحياة على وجه هذه الأرض بإرادة الله تعالى الكونية والخلقية فإنه يجب عليهم التزام إرادته الشرعية في كيفية العيش لتحقيق الاستخلاف المراد ، وبهذا يتم تجاوز كافة النظريات السائدة في العلاقات الدولية والمنطلقة من المنطلقات القومية والعنصرية والمصلحية لأنها تهدم وحدة الأصل البشري وتغيب معها المسؤولية الأخلاقية تجاه خالق الوجود ، ومع غياب هذا المنطلق تنحرف العلاقات الإنسانية وتؤسس على مفاهيم وقيم بعيدة عن الهدي الراشد والفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وبالتالي فإن الوضع الطبيعي للإنسان هو الاعتراف بالخالق وهداياته للبشرية والتفاعل معه توحيدا لله تعالى ووحدة مع سائر البشر ، خلافا للنظريات الوضعية التي تعتبر الوضع الطبيعي هي حالة الجهالة والقطيعة مع الله والوحي المنزل مخالفة بذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولهذا فالتاريخ البشري بحسب السردية القرآنية هو تاريخ أديان اتفاقا واختلافا وأن الاختلاف في أصله مع العلم المنزل من الله تعالى بغيا بين الناس واتباعا للأهواء البشرية قال تعالى:(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) البقرة/ 213

وخلاصة القول فإن وحدة الأصل البشري تعد من أهم أصول ومرتكزات العلاقات الدولية ، والسياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية والتي مبناها على السلوك الإنساني صلاحا وفسادا ، وأن الصراعات الخارجية في أساسها تعود للنفس البشرية وما فيها من خير أو شر وبالتالي فصلاح العلاقات واستقامتها يعود لصلاح الإنسان القائم عليها ولذا فالسياسة الإسلامية داخلية كانت أم خارجية قوامها الأخلاق فهي سياسة أخلاقية وتصادم بطبيعة الحال السياسة غير الأخلاقية ذات الطابع العرقي العنصري المصلحي، وتنشأ بالتالي الصراعات الدولية العدوانية الباغية .

3) الانتفاع بخيرات الأرض المشتركة:

يقرر الإسلام وحدة الوظيفة الإنسانية وغاية وجود الكائن البشري على وجه الأرض وهي الاستخلاف قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة/٣٠ ، ودلالات الخليفة تأتي بمعنى النيابة عن الغير

أو الوكالة عنه وجمعها خلائف أو خلفاء وهم من يتلوا بعضهم بعضا أي التالي واللاحق الذي يأتي بعد آخر كما في قوله تعالى:(ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) يونس/١٤

والتأسيس المعرفي لهذا الأمر بهذه الصورة يعيدنا للرؤية الغيبية والاستناد على الوحي في معالجة العلاقات الإنسانية وأن العقل والعلم وحده لن يقيم علاقات راشدة وحاسمة للنزاعات لأن تحديد الخير والشر والصلاح والفساد لا يدخل تحتهما ، بل هو مما تتفاوت فيه الأنظار وتتباين فيه الرؤى والأفكار ، فكان لا بد من منظور متعال يفصل بين الناس ويحكم بينهم باليقين لا بالظن والوهم ، ولن يمتلك الإنسان اليقين في الأحكام الخارجة عن مجال العلم والعقل إلا بالوحي وهداياته المنزلة ، لأن الله تعالى كلي العلم وكلي الخير فشريعته صادرة عن علم وحكمة ومريدة للخير ومصالح العباد في العاجل والآجل، ولكن ثبت بالتجربة والواقع بأن الناس لا يسلمون بالوحي بل يختلفون حوله كثيرا بين مؤمن به وكافر ، وبطبيعة الحال سيكون الاختلاف حول أنماط الاستخلاف البشري بين استخلاف قائم على الحق والعدل والهدي الرباني وبين استخلاف قائم على الهوى والنظر الوضعي بدوافعه المختلفة، كما في قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا)فاطر/ 39، والإسلام وهو ينطلق من وحدة الأصل البشري ووحدة وظيفته في الاستخلاف والعمران انطلاقا من الوحي والهدايات الربانية يتعامل مع التباينات والاختلافات الفردية والمجتمعية والأممية وينظمها تنظيما يحقق المصالح المشتركة بين البشر ، وهذه الشراكة الكونية لإعمار الأرض ينطلق فيها الإسلام من منظور قيمي يتيح للإنسان السعي لصلاح حاله في دينه ودنياه ، وفي حالة خروج البعض وانحرافه عن الاجتماع الإنساني الراشد المؤسس على الهدايات الرسالية يبقى منطق المدافعة الكونية بين الأمم، تدافعا يمنع التهارج والفساد ، ويحقق صلاح العمران والإنسان بحسب الإمكان ، ابتداء من الكلمة والجدال بالحسنى والمتاركة والصبر والعفو والهجر الجميل، وانتهاءً بالحرب والقتال المانع من الإثم والعدوان وفساد العمران قال تعالى:(وَأَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)هود/61

وخلاصة القول فإن الشراكة الكونية التي يسعى لها الإسلام لكافة البشرية ترتكز على منظومة قيم الحق والعدل والخير والجمال بما يؤدي لصلاح الإنسان والعمران موصولا بالله تعالى، ومتعاونا مع بقية البشر على ما ينفعهم ويحقق لهم الحياة الطيبة.

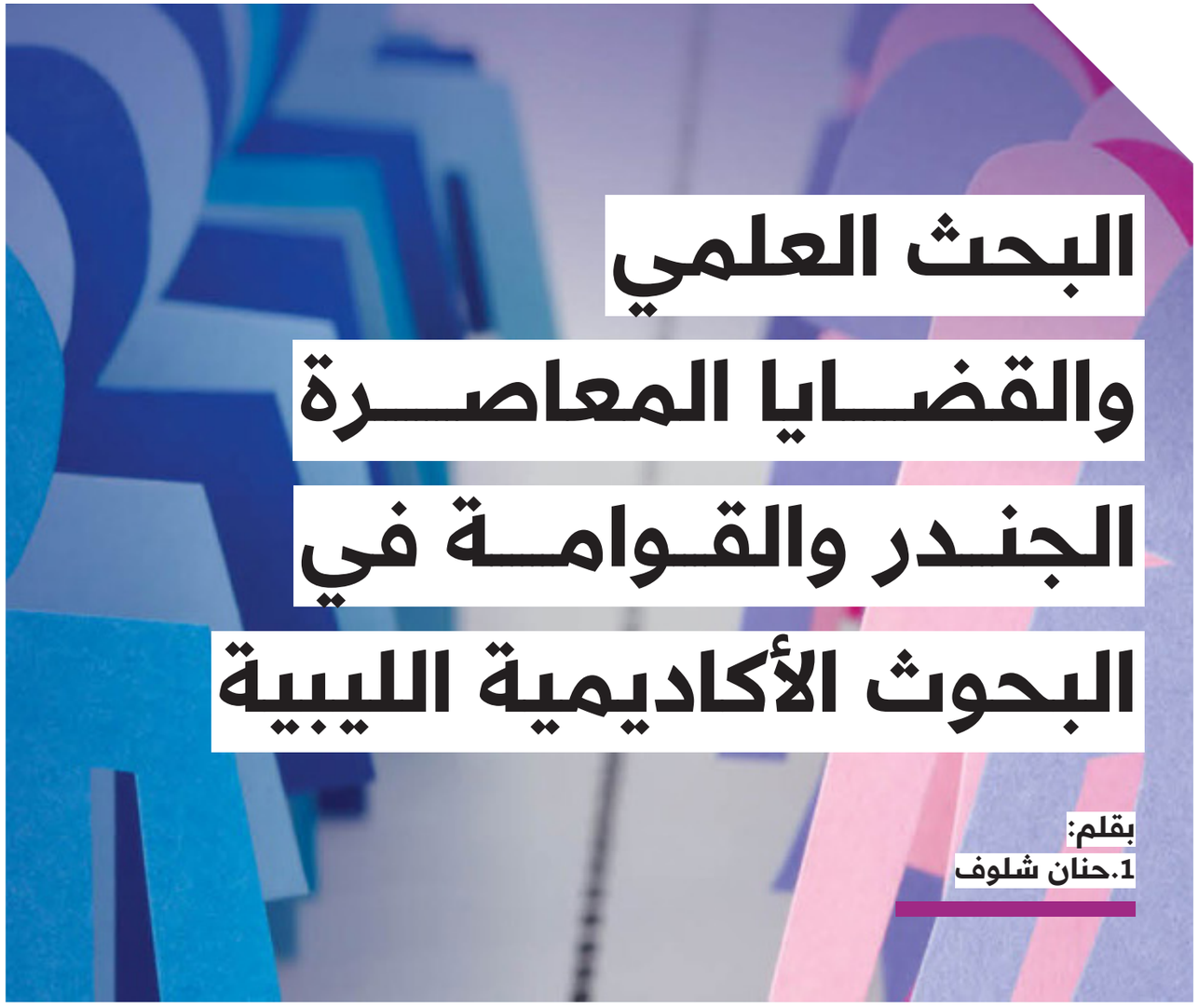

البحث العلمي والقضـــايا المعاصـــرة الجنـدر والقـوامـــة في البحوث الأكاديمية الليبية

بقلم:
1.حنان شلوف

تعد بحوث التخرج ذات أهمية كبرى للبحث العلمي والمجتمع إذا تم استغلالها الاستغلال الأمثل ولم تخصص فقط لتدريب الباحث على البحث العلمي بل يكون بحث التخرج بحثا فعال على المستوى الشخصي للطلاب باعتباره تدريب عملي لما سبق له دراسته في مناهج البحث وأيضا على المستوى العام بتقديم تصورات عملية يستفيد منها المجتمع في معرفة مواطن ضعفه وقوته وتطويرها ، ومن هنا جاءت فكرة تضمين الجوانب العملية في بحوث الدراسات الإسلامية منذ العام الجامعي 2023/2022

البحث الأول :

في العام الجامعي 2023/2022 بعنوان (القوامة بين الشرع والمواثيق الدولية) للطالبة أحلام أحمد عامر سويسي والطالبة نسرين عبدالمجيد عمار إشراف د.حنان شلوف ناقشه أ.د.صالح الفرجاني.

الجانب العملي جاء في دراسة ميدانية لمفهوم القوامة بين طالبات الدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة غريان وكانت الدراسة تهدف لجمع المعلومات حول مدى ادراك طالبات قسم الدراسات الإسلامية لمفهوم القوامة خلال السنوات الدراسية الأربع، وذلك للوقوف واقعيا حول مدى تأثير المنظمات النسوية ومحاولة معرفة هل ستلقى دعواتهم للمرأة بالتمرد على الرجل والخروج عن مفهوم القوامة الشرعي قبولا أم لا ، وهذه المعرفة لن تتحقق إلا بقياسها واقعيا ، وقد تم اختيار الاستبيان المغلق كأداة لهذا القياس، وقد كانت الإجابة على الفقرات بنعم أو لا فقط ، جاء الاستبيان في ثلاث وثلاثين فقرة، وقد جاءت نتائج الاستبيان وفق الذين كانت إجاباتهم الصحيحة أقل من النصف من مجمل الإجابات لكل سنة دراسية على النحو التالي:

السنة الرابعة	السنة الثالثة	السنة الثانية	الفصل الأول
62 %	50 %	25 %	70 %

وفق قراءة الجدول السابق فإن الطالبات في الفصل الأول للدراسات الإسلامية لا يعرف معظمهم مفهوم القوامة وهو ما يدل على ضحالة المعلومات العامة فيما يتعلق بتعاليم الإسلام ، وإذا تسلطت عليهم الدعوات النسوية فهن عرضة للانجراف وراء هذه الدعوات، كما جاءت النسبة العالية الثانية لطالبات السنة الرابعة وهو ما يدل على أن الدراسة الأكاديمية لم يكن لها أثرا كبيرا في نمو المعلومات في اتجاه أهم موضوع من موضوعات الأسرة المسلمة بخاصة وأنهن سيخرجن للحياة العامة إما معلمات أو واعظات و زوجات.

وبالنظر إلى نتائج المفهوم بالنسبة لمجمل طالبات قسم الدراسات الإسلامية كانت 54 % لمن كانت إجابتهم أقل من النصف، وهذه نسبة عالية جدا بالنسبة لطالبات الشريعة الإسلامية أن لا يكن على وعي بأهم مقوم من مقومات الأسرة المسلمة، وغيابه كان سبب في كثير من الصراعات والمشكلات داخل الأسرة باختلال موازينها وبالصراع بين الرجل والمرأة الند للند، ويدفعنا إلى السؤال حول مفهوم هذا العنصر عند الطالبات في باقي الأقسام وباقي الكليات التي لا تختص بدراسة الشريعة الإسلامية، ولعل هذه النسبة العالية تفسر وجه من وجوه ارتفاع نسبة الطلاق في المجتمع الليبي بخاصة بين الجيل الجديد الذي سادت بينهم مفاهيم حقوق المرأة والمساواة مع الرجل في ظل النشاط المتزايد لحمالات المنظمات الأجنبية والمحلية المدعومة من الأمم المتحدة لنشر مفاهيم الاستقواء على الرجل تحت مسمى تمكين المرأة في المجالات كافة وهذا الاستقواء أو التمكين والمساواة ومناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي تدور جميعها في مناهضة القوامة كما تم ايضاحه في السابق.

يتبين من تفريغ نتائج الاستبيان ضعف الوعي بمفهوم القوامة عند طالبات الدراسات الإسلامية والتي تعد عينة استدلالية لضعف المفهوم عند باقي طالبات الكلية وهو ما يجعلهم معرضين للاستغلال من طرف المنظمات التي ترفع شعار حقوق المرأة وتحريرها كما يعزز من المشاكل الزوجية عندما يحاول الزوج أن يفرض قوامته على المرأة وعدم استجابة المرأة لهذه القوامة ظنا منها أنه مجرد استغلال لسلطته عليها ولا تعرف أن هذه السلطة أمر شرعي أو أن تكون خانعة والرجل مستلط عليها وهي لا تعرف أن هذا التسلط ليس من القوامة الشرعية التي عليها الامتثال لها امتثالا للشرع.

وبالنظر في إجابة الأسئلة المتعلقة بالمواثيق الدولية يلاحظ أن الإجابات كانت أغلبها أقل من 50% لكل الفصول والسنوات الدراسية وهو ما يدل على أنهن إذا تعرضن لبرامج الأمم المتحدة الخاصة بالمرأة بخاصة ما يدخل مدارسنا تحت شعار حملة 16 يوم لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي كل عام فإنهن سوف يذهبن في هذا الاتجاه وقد يكونن داعم لهم بل من أن يكونن مواجه ومتصدي لتلك البرامج الخبيثة المخالفة لشرع الله وللفطرة الإنسانية.

من خلال الدراسة الميدانية يمكن الانتهاء الى النتائج التالي:

1) الدراسة الأكاديمية في قسم الدراسات الإسلامية لم يكن له دور كبير في إدراك الطالبات لمفهوم القوامة وما يتعلق بها (النشوز).

2) طالبات الفصل الدراسي الأول مفهوم القوامة لديهن شبه منعدم.

3) من خلال الملاحظة بالإضافة إلى نتائج الاستبيان السابقة فإن جل من وزع عليهن الاستبيان لم يعرفن معنى كلمة القوامة ولا كلمة ناشز.

وعليه فإنه يمكن التوصية بالتالي:

1) التوعية بمفهوم القوامة من خلال عدد من المحاضرات التوعوية ضمن نشاط القسم لطلابه وطلاب الكلية .

2) الحث على قياس عدد من المفاهيم الإسلامية الأخرى المتعلقة بالأسرة والتي يتخذها الغرب مطية من أجل تغريب المرأة وهدم الأسرة المسلمة

البحث الثاني :

كان في العام الجامعي 2023 / 2024 بعنوان (مدى الوعي بمفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية للطالبات: أميمة البهلول المقدولي و أنوار امحمد علي وآية أحمد أبوكتيف ودنيا كمال السنوسي إشراف د.حنان شلوف وناقشه أ.د.صالح الفرجاني.

الجانب العملي فبالنظر لأهمية الموضوع ولأنه أصبح ينتشر في مجتمعنا بشكل كبير، حيث تعد الحروب وبيئة عدم الاستقرار بيئة مناسبة لنشر الأمم المتحدة لأفكارها

شعبيا دون خوف من رقابة السلطة في دولة من الدول فقد كانت ليبيا هي إحدى هذه الدول التي عملت الأمم المتحدة على ترويج النوع الاجتماعي فمن هذا المنطلق تم قياس مدى استجابة طالبات قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ورياض الأطفال ومعلم الفصل بكلية التربية جامعة غريان لمضامين النوع الاجتماعي ؛وذلك باعتبار أن هذه الأقسام الثالثة هي الأكثر احتكاكا بالأطفال والمجتمع ، واعتبار هذه الأقسام الثلاثة عينة نسبية لباقي لمثيل هذه الأقسام في الجامعات الليبية بالكامل.

واختيار هذه الأقسام الثلاثة دون غيرها لتكون عينة لقياس وعي المجتمع بموضوع الدراسة يكمن في أهمية هذه الأقسام في إحداث التغيير في الأجيال القادمة إذ أن مجال عمل هذه الأقسام هو المجال الذي يحدث فيه الاحتكاك الفكري المباشر مع المجتمع ونقل الأفكار الجندرية له ومن ثم خلق جيل إن لم يكن جندريا ففي أقل تقدير غير رافض للجندر ؛ ولهذا فيجب أن يكون خريجي هذه الأقسام الثلاثة على وعي تام وكامل بخطر الجندر وأساليب نشره داخل المجتمعات، وهذه الأقسام أيضا هي الأقسام المعنية بالتواصل المباشر بهذا الموضوع سواء من حيث نقل الحكم الشرعي وتنبيه المجتمع لخطره أو من حيث التعامل مع الأطفال في سن مبكرة وتكوين وعيهم بذاتهم ذلك أن فئة الأطفال هم الفئة المستهدفة بالتغيير الجندري سواء كان ذلك من خلال المناهج التعليمية أو كان من خلال المعلمات في الروضة أو الصفوف الأولى الدراسية غير الواعيات لهذا الخطر الذي يتهدد الأطفال (الأطفال وهم الفئة تحت سن 18 سنة بحسب تصنيفات الأمم المتحدة).

من المنطلقات السابقة تم قياس وعي طالبات السنة الرابعة في هذه الأقسام حتى ندرك بشكل عملي التالي:

1) مدى تأثير العملية التعليمية الحالية في إمداد الطلاب بمعلومات عن القضايا المعاصرة المثارة في المجتمع وذات التأثير الكبير في مجالهم.

2) مدى معرفة الطلاب للموضوعات المخالفة للشريعة الإسلامية ولهوية المجتمع الليبي وخصوصيته ولها علاقة بمجال تخصصهم على مستوى العمل فيما بعد.

3) مدى وعي الطلاب في هذه الأقسام لخطر الجندر.

4) مدى تقبل ورفض الطلاب في هذه الأقسام للموضوعات الجندرية.

وللوصول إلى نتائج وعي الطالبات في الأقسام الثلاثة السابقة فقد تم توزيع استبيان مغلق جاء في ثلاث وعشرين فقرة وقد جاءت نتيجة الاستبيان أن 37% فقط من اجمالي الأقسام الثالثة هم من تحصلوا على أكثر من نصف الإجابات الصحيحة وقد توزعت على النحو التالي:

معلم الفصل	رياض الأطفال	اللغة العربية والدراسات الإسلامية
18%	50%	50 %

وهذه النسبة تعد نسبة متدنية جدا ومؤشر خطر بأنه يسهل تمرير النوع الاجتماعي إن لم يكن هناك تصدي سلطة رقابية تمنع نشر تلك المفاهيم في المجتمع وتوعية بشكل كبير بخطورة هذا المفهوم على الدين وعلى هوية المجتمع.

ومن نتائج تفريغ فقرات الاستبيان يلاحظ أن الفقرة رقم (6) التي تنص على : (على الرجل والمرأة تقاسم الأدوار داخل المنزل من حيث العناية بالمنزل ورعاية الأطفال) تحصلت على أقل نسبة بين جميع الفقرات ، وهذا يعد مؤشر خطر كبير، ليس على قبول عينة الدراسة للنوع الاجتماعي فقط بل وقبولها أيضا للتساوي بين الرجل والمرأة الذي تطالب به الحركات النسوية.

يلي هذه الفقرة الفقرة رقم (7) التي تنص على (يجب إعادة فهم العادات والثقافة السائدة في المجتمع التي تجعل دور خاص للرجل ودور آخر خاص بالمرأة في المجتمع) والفقرة رقم (21) التي تنص على (يجب على المعلمة أن تشرح للطلاب أن هناك ذكر وأنثى ومحايد كما في الخيارات المطروحة عند فتح إيميل أو بعض الاستبيانات الالكترونية)وقد تحصلت كلتا الفقرتين على نفس النسبة المتدنية والخطر بخاصة الجدل المثار في المناهج التعليمية الحالية ومحاولة الدفع بالنوع الاجتماعي في المناهج التعليمية.

وفي المقابل تحصلت الفقرة رقم (14) رفض جميع العينة بلا استثناء والتي تنص على (أحاول كمعلمة تشجيع الفتيات على قص شعرهن مثل الأولاد إن أردنا ذلك) وهذا الرفض يعد مؤشر عكسي للسابق وهو يعني أن الرؤية التي روج لها الحراك النسوي من مبادئ التساوي بين الرجل والمرأة قد بدأت تعطي نتيجتها في وعي الجيل الجديد من الفتيات وهو ما يجعل هذا الجيل فريسة سهلة للجندريين أم هذه الفقرة (14) فإنها مؤشر إلى أن يمكن هدم الوعي الذي خلقه الحراك النسوي بخلق حراك توعوي مضاد له يعمل على نشر ما في دعوات الجندريين من مخالفات للشريعة الإسلامية وللفطرة السليمة ولهوية وثقافة المجتمع الليبي.

ويلي هذه الفقرة الفقرات رقم (9) و (22) و(10) التي تحصلت على نسب مرتفعة لا تقل عن 80% وهو ما يؤيد بوجود قاعدة عريضة يمكن العمل من خلالها بالتوعية السليمة بخطر الدعوات الجندرية قبل أن تتسع الفجوة تتسع قاعدة الجندرنيين كما حدث مع دعاة التساوي.

البحث الثالث :

في العام الجامعي 2024 /2025 بعنوان (مدى إدراك طالبات الدراسات الإسلامية لحقوق وواجبات الزوجة وفقاً للمذهب المالكي) إشراف الأستاذة أماني سويسي ومناقشة الأستاذة نجوى القعود للطالبات آية أبوبكر سالم وشيماء عبدالكريم الضبيع وهدير فتحي الطوير

تمثل الجانب العملي من البحث في دراسة ميدانية مبنية على توزيع الاستبيان المغلق وذلك لقياس مستوى إدراك طالبات الدراسات الإسلامية بكلية التربية غريان ، لحقوق وواجبات الزوجة وفقاً لما قرره فقهاء المذهب المالكي بحيث تعكس الدراسة إلى حد بعيد الواقع و ذلك باعتبار عينة الاستبيان هي عينة عشوائية دالة, و ذلك لتوقع أن يكون الطلاق المتفشي في ليبيا- بناء على تقرير موقع (داتا باندا) المختص بمعدلات الطلاق في العالم , وكان ترتيب الدول العربية لعام 2024 بمعدل نسبة الطلاق لكل ألف شخص, وكانت ليبيا في المركز الأول بنسبة (2.5)- سببه عدم وعي المرأة بحقوقها وواجباتها وفق ما تقره الشريعة الإسلامية.

جاء الاستبيان في إحدى وثلاثين فقرة وأوضحت نتائج الاستبيان أن السؤال رقم (5) ينص على:

هل يحق للزوج أن يمنع زوجته من زيارة أهلها؟

والسؤال الثامن الذي ينص على: **هل الزوجة غير مطالبة بخدمة زوجها؟**

والسؤال الثالث عشر الذي ينص على: **هل واجب على الزوج تكاليف العلاج اذا مرضت زوجته؟**

والسؤال السابع عشر الذي ينص على: **هل يحق للزوجة أن تأخذ من مال زوجها دون علمه؟**

تحصلوا على نسبة ضعيفة جداً وهو ما يدل على قصور هذا الجانب وهذا القصور يتمثل في ضعف الوعي لدى الطالبات في هذا الجانب مما يؤثر على حياتهن الزوجية ومستقبلهن ويجعلهن فريسة سهلة لدعوات الحركات النسوية ، ومن هذا القصور عدم إدراكهم للعلاقة بين الزوج والزوجة سواء من الناحية المادية أو من ناحية علاقته بالأهل في حالة كان الزوج رافض لها.

أما السؤال الرابع الذي ينص على: **هل يحق للزوج أن يحرم زوجته من العمل؟**

والسؤال السابع الذي ينص على: **هل الزوجة واجب عليها أن تتحمل مسؤولية أم زوجها؟**

والسؤال التاسع عشر الذي ينص على: **هل طاعة الزوج في كل الأمور واجبة؟**

والسؤال الواحد وعشرون الذي ينص على: **هل يحق للزوج أن يُطالب زوجته التي تعمل بأن تساعد في نفقة البيت؟**

فقد حازت على مستوى لمقبول وهو ما يدل على أن الطالبات مازلنّ في حاجة أكبر لتوضيح العلاقات المادية بشكل أكبر بين الزوج و زوجته و توضيح شكل العلاقة بين الزوجة وأهل الزوج بشكل أكبر.

أما باقي أسئلة الاستبيان فقد كانت مجمل الإجابات عليها ما بين الممتاز والجيد جداً و هو ما يدل على إدراك المجموعة التي استطاعت الإجابة عليها إدراك و وعي تام بها.

من خلال البحوث الثلاثة السابقة فإنه نلاحظ ضعف الوعي في العينة العشوائية الدالة بقضايا المرأة التي يتربص من خلالها أعداء الدين بالأمة والدين وعليه فإنه يوصى بتوسيع نطاق هذه الدراسات لتشمل عينات أخرى وأيضا دراسة الوسائل لرفع وعي طالبات الجامعة بالقضايا التي تتعلق بالمرأة وإسلامها.

وهم العلاج بالطاقة

بقلم:
آ. نجاح زائد

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم العربي على المستويات الاجتماعية والنفسية والروحية، برزت ممارسات تقدم ذاتها بوصفها بدائل علاجية وشبه روحانية، ولعل أبرزها ما يُعرف بالعلاج بالطاقة الكونية، وهي ممارسة باتت تنتشر بشكل ملحوظ في عدد من البلدان العربية، من بينها ليبيا. تتقاطع في هذه الظاهرة مفاهيم فلسفية شرقية قديمة، مثل طاقة (البرانا) أو (الكي)، مع بعض الادعاءات ذات الطابع العلمي المعاصر، ما يجعلها في نظر البعض امتدادًا لتقاليد روحية تسعى إلى تحقيق التوازن بين الجسد والعقل والروح، بينما يراها آخرون شكلًا من أشكال الشعوذة الحديثة التي ترتدي قناع العلم، وتفتقر إلى الأسس التجريبية والشرعية، مما يجعلها عرضة للنقد من زوايا متعددة.

ينطلق هذا النوع من الممارسات من فرضية وجود طاقة كونية غير مرئية تسري في الكون وفي الجسد الإنساني، ويُعتقد أن اختلال توازن هذه الطاقة يؤدي إلى أمراض جسدية ونفسية وروحية. أما استعادة التوازن، فيتحقق – كما يُزعم – من خلال تقنيات تعتمد على التأمل، وتمرير اليدين فوق الجسد، أو استخدام (الريكي) الياباني، أو (تنظيف الشاكرات) المستند إلى معتقدات هندوسية وبوذية. هذه الطقوس تقدم نفسها في كثير من الأحيان بلبوس علمي، حيث تُستخدم مصطلحات مثل (ذبذبات الطاقة)، و(حقول الكم)، و(الوعي الكوني)، لكنها لا تستند إلى أي بنية علمية صارمة، ولا تتوافق مع المعايير

المعتمدة في الطب الحديث. وقد بينت مراجعات علمية منشورة في قواعد بيانات معترف بها مثل (PubMed) و(ScienceDirect) أن هذه الممارسات لم تثبت فعاليتها في علاج أي حالة مرضية بشكل يمكن تعميمه علميًا، وإنما قد تترك أثرًا نفسياً مؤقتاً يشبه تأثير العلاج الوهمي (Placebo).

في ليبيا، ورغم غياب الدراسات الميدانية الدقيقة التي توثق انتشار هذه الظاهرة، تشير الملاحظة العامة والتقارير الإعلامية إلى تزايد واضح في الإقبال على هذه الممارسات، خاصة في صفوف النساء والشباب. يعود ذلك إلى مجموعة من العوامل المعقدة، من أبرزها أزمة النظام الصحي وغياب الثقة في المؤسسات الطبية، إضافة إلى الشعور المتزايد بالفراغ الروحي والنفسي في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية. وقد وُجدت بيئة مناسبة لبعض (المعالجين) لاستغلال هذا الفراغ الوجودي، وتقديم وعود بالشفاء من خلال أدوات غير طبية وغير خاضعة لأي مساءلة علمية أو قانونية، مستفيدين من هشاشة الرقابة وغياب الوعي العام، ما أدى إلى تزايد المراكز التي تروّج لما يسمى بالعلاج بالطاقة في المدن الليبية، دون أن تكون خاضعة لأي جهة رسمية أو إشراف طبي معتمد.

ومن أبرز الأسماء والمؤسسات التي ساهمت في الترويج لهذه الممارسات على مستوى العالم العربي، تبرز أكاديمية عمارة للطاقة الحيوية والشفاء الذاتي، التي تقدم دورات تدور حول مفاهيم مثل (تنقية الهالة)، و(تنظيم الذبذبات)، و(فتح الشاكرات)، وتربط بين هذه المفاهيم وبين إشارات دينية أو روحانية فضفاضة. كما لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته شخصيات إعلامية شهيرة، مثل مريم نور، التي مزجت بين تعاليم شرقية وتقنيات طاقية في خطاب يستبطن نزعة صوفية غامضة، والدكتور إبراهيم الفقي، الذي رغم إسهاماته في مجال التحفيز والتنمية البشرية، فقد ساهم من حيث لا يدري في تمرير بعض المفاهيم غير العلمية مثل (الطاقة الإيجابية)، و(برمجة الذات) بطريقة تبسيطية لم تخضع لتفكيك نقدي كافٍ في الأوساط الثقافية.

ويكتنف هذه الظاهرة خلطٌ كبير بين مفاهيم التنمية البشرية، كأدوات لتحسين الأداء الذاتي والمهارات الحياتية، وبين الممارسات الطاقية التي تفتقر إلى الأساس العلمي. فبينما تعتمد بعض برامج تطوير الذات على علم النفس الإيجابي أو نظريات سلوكية مدروسة، نجد أن مروّجي (الطاقة الحيوية) يدرجون مفاهيم باطنية غير قابلة للقياس أو التجريب ضمن برامجهم، مما يفتح المجال أمام تلاعب نفسي وعقائدي يمسّ توازن الفرد ويضعه في دائرة من الانبهار غير الواعي.

على الصعيد الشرعي، أثارت هذه الممارسات موجة من الاعتراض من العلماء وهيئات الفتوى، نظرًا لما تتضمنه من مفاهيم تتنافى مع العقيدة الإسلامية، خصوصًا فيما يتعلق بأصل التوحيد والإيمان بالأسباب. وقد صرحت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، في المملكة العربية السعودية بتحريم هذه الممارسات، ووصفتها بأنها شعوذة ودجل، لا يجوز الأخذ بها، لما فيها من تعلق بأسباب غير مشروعة ومعتقدات باطنية تخالف جوهر التوكل على الله. كما أشار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي إلى أن هذه الأساليب تؤدي إلى الانحراف العقدي، وتشجع على التعلق بالخرافة بدل الأخذ بالعلاج المشروع، مما قد يُحدث أضرارًا بالغة على الصعيدين النفسي والديني للفرد.

لا تقتصر خطورة هذه الممارسات على الانحراف العقدي أو الترويج للوهم، بل تمتد إلى أبعاد نفسية واجتماعية مقلقة. فالإقبال الواسع على العلاج بالطاقة يعكس حالة من القلق الوجودي وفقدان المعنى، حيث يسعى الإنسان إلى التعلق بأي أداة تمنحه إحساسًا بالسكينة أو التحكم في مصيره، ولو كانت هذه الأداة لا تستند إلى أي منطق عقلاني. ويزداد الأمر تعقيدًا حين يُفضّل المريض هذه الأساليب على الطب العلمي، في حالة تُعرف بـ(التواكل العلاجي)، أي الاكتفاء بطقوس تأملية أو رمزية، بدلًا من التداوي الفعلي، مما يؤدي إلى تفاقم الحالة المرضية وتأخير العلاج الحقيقي.

وفي المحصلة، لا يمكن التعامل مع العلاج بالطاقة الكونية بوصفه مجرد ظاهرة فردية أو خيارًا روحانيًا بريئًا، بل هو خطاب معرفي مموّه، يحمل في داخله مضامين فلسفية ودينية وعلمية مغلوطة، تساهم في نشر الجهل، وتعميق الاغتراب، وتزييف وعي الإنسان العربي المعاصر. ومن هنا تبرز الحاجة إلى تفكيك هذا الخطاب نقديًا، عبر تضافر جهود العلماء والمفكرين والمؤسسات الشرعية والصحية والتربوية، لوضع حد لهذا الممارسات، وتقديم بدائل علاجية ونفسية متوازنة تحترم الإنسان وعقله وروحه، دون أن تزجّ به في متاهات الوهم والانحراف.

لقد جاء الإسلام بمنظومة علاجية متكاملة، تمزج بين التوكل على الله، والدعاء، والرقية، والأخذ بالأسباب الطبية والعقلية، دون انفصال عن السنن الكونية أو استسلام للمجهول. ومن الحكمة اليوم، أن نستعيد هذا التوازن بين الروح والعقل والعلم، لنعيش حياة طبيعية بعيدا عن هذه الممارسات التي تسلب العقول.

المتاهة الواضحة

بقلم:
محمد المغربي

عصر تمايز الصفوف الذي نمر به اليوم يكاد يكون الأكثر وضوحًا على مر التاريخ، فنحن لم نرَ فتنة يتقاتل فيها الصحابة، ولا صراعًا بين دولتين تحكُمان بالشريعة وتتنافسان الزعامة، ولا حتى بين فئتين لا نعلم عدلهما من ظلمهما؛ بل هي حرب معلنة بين كفار ومسلمين؛ فإن كنت قوميًا، فبين عرب ويهود من شتات العالم، وإن كنت علمانيًا، فبين محتلٍ ومحتَلٍ - الأولى اسم فاعل والثانية اسم مفعول - وإن كنت حقوقيًا، فبين مجرمين ومستضعفين، غير أنك مع كل هذا لا تعدم من يلتبس عليه الأمر... فلا بد للهوى من أتباع، كما أنه لا بد لجهنم من حصب.

(وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)

أنا من الذين يؤمنون أن الحياة معقدة، وأن الاصطفافات فيها ليست غاية في الوضوح، ولو أردت تعريفًا واضحًا للحياة، واجتهدت لوضعه في أبسط صورة، لقلت ربما إن «الحياة معقدة»، وأن أدوات التحليل المنطقي، والتجرّد من الهوى والتعصب، وإن شئت لبينة الموضوع -جعله ليبيًا- فقل ترك «العناد»، هي السبيل لتجلّي الصورة واتباع سبيل الرشد.

غير أن هذه التعقيدات تبدو في أضعف حالاتها وأقلها التباسًا في حالة الصراع الحاصل في غزة، لدرجة أننا رأينا يهودًا في تل أبيب يتظاهرون ضد تجويع أطفال غزة وقتل المدنيين، أما عن الاصطفافات الشعبية المسيحية والعلمانية، فإنها أوضح من الإشارة إليها والتدليل عليها، وربما لن يكون آخرها ذلك الأسطول البحري الذي انطلق من شواطئ برشلونة وجنوة لكسر الحصار وتوصيل المساعدات للجوعى في غزة.

غزة فرصة لتجلي الرشد

غزة هي فرصة كبيرة لكل من أراد اتباع سبيل الرشد ومعرفة الحق من الباطل، فمن التبست عليه كل جرائم الطغاة وسرقاتهم وسجونهم وإعلامهم، من اختلطت مشاعره بين الخوف من بطش حفتر والسيسي وبين تأييده القديم لهم، من ارتبط في ذهنه صورة الانبهار بالرتب والنياشين والكراديس والاستعراضات العسكرية وبين الشعور بالأمن والحرية، من ملأت صور المظلومين والسجناء والمهجَّرين والبيوت المغتصبة ذهنه، ودافَعَتها موجة التشويه والتحريض والإعلام... إلى كل هؤلاء أقول: توقف عن الاصطفاف، وخذ خطوة إلى الخلف، وانظر للمشهد عن بعد، وتجرّد من الهوى، ثم فكر بقليل من المنطق.

فأنت لستَ مجبرًا على كل حال أن تتخذ موقفًا، فبقاؤك محايدًا أهون من تحمّلك جريرة المجرمين. فأنت لا تعلم آخر نفس يخرج ثم لا يعود، هل هو اليوم أو غدًا؟ وعندها ستترك الجميع، وتحمل معك آرائك واصطفافاتك وكلماتك وأعمالك لتُسأل عنها وحدك.

الدعم الغربي للأنظمة

هل تعلم يا صديقي أنه أثناء الحرب على غزة، رفع صندوق النقد الدولي قروضه لمصر من ثلاث مليارات دولار إلى ثماني مليارات، وصرف لها دفعة عاجلة بمليار ومائتي مليون دولار، وتلقت مصر استثمارات إماراتية بقيمة 35 مليار دولار؟

أما عن الحدود الشرقية لفلسطين، فقد تلقت الأردن 135 مليون دولار من صندوق النقد الدولي، وبدأوا معها برنامجًا جديدًا بـ 700 مليون دولار، هذا غير استمرار تدفّق المساعدات الأمريكية والتي تبلغ حوالي مليار وأربعمائة وخمسين مليون دولار سنويًا، فيما صرّح مسؤولون أمريكيون أن استقرار الأردن يعد أمرًا بالغ الأهمية للأمن القومي الأمريكي.

كل هذه معلومات تعج بها وكالات الأنباء، وأهمها وكالة الأنباء الدولية رويترز.

أعزائي -الذين التبست عليهم الواضحات- افتحوا جوجل واسألوا «شات جي بي تي»، وطالبوا بالمصادر، وافتحوا وكالات الأنباء لتعلموا حقيقة هذه الدول وهذه الجيوش، ولا تستمعوا للإعلام المصري الرسمي أو الأردني ثم تظنوا أنكم فعلتم ما عليكم وتبيّنتم الحقيقة، فإني أربأ بعقولكم أن تظنوا أن الصفحات الرسمية التابعة للحكومات قد تنقل إليكم معلومات كهذه.

أنظمة تابعة

القول الفج والمباشر أن الأنظمة العربية، التي يستميت إعلامها في تلميعها ويقاتل المداخلة في سبيل تثبيتها، أنظمة عميلة تابعة للصهاينة؛ ربما يكون قولًا صادمًا لمن لا يرى إلا من خلال إعلامهم، ولا يقرأ إلا لمدونيهم، ولا يستمع إلا لكهّانهم؛ ولكنه يشبه الشمس الساطعة، والحقائق القاطعة لكل من كان لديه أدنى مسؤولية تجاه عقله، وحاول أن يستخدمه للتفكر كما أمره القرآن، وليس في مجرد حفظ التوازن، أو ممارسة الخصائص الحيوية من أكل وتنفس وإخراج.

العالم الغربي شعر بحاجة شديدة لتثبيت الأنظمة المحيطة بفلسطين، وحلحلة مشاكلها الاقتصادية وتخفيف الضغط الشعبي عنها، بل ودعمها عسكريًا -وبإمكانكم قراءة الأخبار من مصادرها- في وقت يُقتل فيه أبناء غزة ويُذبحون ويُجَوَّعون.

هل تتخيّلون الكارثة؟ يحاربون أقدس مقدسات المسلمين، ويقتلونهم، ثم لا يخشون من ردّة فعل الجيوش العربية المحيطة بهم، بل يدعمونها بالمال والسلاح، بل يضاعفون دعمهم لها أثناء الحرب.

ألا يفترض أن تخشى إسرائيل وأمريكا هذه الجيوش؟ ألم تُعدّ هذه الجيوش للدفاع عن العرب والمسلمين كما يقولون لنا في المناهج والإعلام؟ كيف يدعمهم الغرب بدل أن يجرّدهم من سلاحهم؟ إذا هذا السلاح والكراديس معدّة لمن إن لم تكن للعدو؟

إذا كنت تريد إجابة على هذا السؤال، فابحث عن الحملات الأمنية التي يقوم بها الجيش الأردني والمصري، بل والقوات الأمنية لمحمود عباس، ضد كل من يحاول مدّ يد المساعدة للفلسطينيين؛ بل ليجرّب شعوب مصر والأردن الخروج في مظاهرة سلمية على حدود فلسطين، لتعلم حينها لماذا تدعم أمريكا هذه الجيوش.

الآن لا بأس -عزيزي الملتبس عليه الأمر- من تشغيل عقلك قليلًا ومعرفة جيش حفتر لمن ينتمي، ومن يدعمه، ومن يمهّد له الطريق. وإذا كنت لا ترى كل هذه الحقائق، فلا يسعني إلا أن أقول:

(وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا).

إضاءة على كتاب:

تاريخ الدولة العثمانية وتركيا الحديثة

الجزء الأول:

إمبراطورية الغازي ... صعود الدولة العثمانية وانحدارها

للمؤرخ الأمريكي ستانفورد ج. شو

بقلم:
أ. هشام الشلوي.

يحار المرء ولا يجد جوابا شافيا إذا ما كد وجد وحاول الإجابة عن أسئلة مثل: لماذا بقيت الدولة العثمانية مئات السنين على قيد التاريخ والحياة؟ ألم يكن من المفترض أن تزول أو تنزوي بعد عصر بايزيد الأول (1389 - 1402) أي بعد اجتياح تيمورلنك للأناضول؟ ولماذا كلما خبت، توهجت من جديد وعادت، حتى قضى عليها بشكل نهائي نظام دولي معقد كانت فيه هي الحلقة الأضعف؟

وأنا هنا لست بصدد كتابة مقال منهجي صارم، يتبع أدوات النقد الحديثة، لأنني لا أملك مثل هذه الأدوات، وإنما هي تعليقات رأيت مشاركتها، كما أن الكتاب يحتاج إلى قراءات عدة، لفصل أحداث ووقائع التاريخ العثماني الطويلة، التي ضمنها ستانفورد في كتابه عن التحليلات والأحكام التي استنتجها والقواعد الناظمة لحركة التاريخ التي قررها واستنبطها.

كما يجب أن نتفطن من البداية أن كتاب ستانفورد ليس سرديا لتلك الوقائع والأحداث، وَأنَّى لكتاب لم تتجاوز صفحاته ألفا وثلاثمئة صفحة أن يأتي على تاريخ دولة تجاوز عمرها الستمئة سنة!

وإنما وقف ستانفورد على الوقائع التي كان لها دور في عمليات التحول من الصعود والهبوط، أي تلك التي تخدم نماذجه التفسيرية للتاريخ العثماني.

وأول نموذج تفسيري سنّه ستانفورد في كتابه هو قراءة التاريخ العثماني ضمن الحقب التي تعاقبت عليه، بمعنى أن نحذر من تفسير هذا التاريخ وفق آليات وقواعد ونماذج الدول التي نحيا فيها، أي أن نضع هذا التاريخ ضمن السياقات العالمية التي عاشت ضمنها الدولة العثمانية، فلا نُحَكم نماذج تفسيرية من القرن الواحد والعشرين على أحداث سُجلت في القرن الخامس عشر أو السادس عشر.

وفي رأيي المتواضع أن طرح ستانفورد هنا يصلح لتفسير التاريخ الغربي والحضارات الأخرى القريبة والبعيدة، ما هو قائم منها وما اندثر، أما تاريخنا الإسلامي إذا ما أردنا وضع نماذج تفسيرية له، فإننا ملزمون بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي سن كثيرا من النماذج التفسيرية لحركة الإنسان في التاريخ.

ولكننا مضطرون إلى قبول نموذج ستانفورد التفسيري، لأنه يرد على كثير من دعاوى المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين، الذين منعهم تحيزهم وعصبيتهم من قراءة التاريخ العثماني في سياقه التاريخ والزمني، أي أنك كمؤرخ غربي عندما تدين سلوكا وفعلا عثمانيا، عليك أن تنظر إلى سلوك إمبراطورية النمسا في تلك الفترة، وسلوك الروس وسلوك الهولنديين والبرتغاليين ثم لاحقا الإنجليز والفرنسيين.

ما يريد أن يقوله ستانفورد: إن محاكمة القرن الخامس عشر والنظر إليه، تكون بشبيهه ونظيره في تلك الحقبة، وليس بأية نماذج تفسيرية لاحقة ومتقدمة في الزمن. لذا لا نستغرب النقد الحاد والاتهامات التي كيلت لكتاب ستانفود حين ظهوره، لا لأنه أنكر مذابح الأرمن، بل لأنه اعتمد منهجية وقراءة مختلفة عن تلك التي سادت في دراسات المستشرقين، ولا تزال تطغى على مزاجهم.

النموذج العثماني

في ظني أن النموذج العثماني في الحكم وتداول السلطة لم يشذ عن النموذج الإسلامي الذي اُستلهم من أدبيات الفرس في البداية، ثم الرومان في وقت لاحق، وانسلخ تماما مع تقدم السنوات عن نماذج الراشدين الأربعة، أي أن العثمانيين لم يسعوا طوال تاريخهم الوراثي في الحكم وتسلطهم إلى تطوير أنماط حكمهم، بل إنهم انغلقوا عليها عندما بدأوا يرون كيف أن الأوروبيين بدأوا في تحديث آليات الحكم والسلطة، ورفضوا أي تحديث لمؤسسات السلطة والجيش، إذ تضافر أشخاص كثر ينتمون إلى هيئة علماء الدين والجيش (الإنكشارية والسباهية، واللاوند) والأعيان والكُتّاب في رفض أي تحديث خاصة في الأوقات العصيبة التي مرت بها الإمبراطوية، وإنما كانت جهودهم الإصلاحية تركز بالأساس على العودة إلى النموذج العثماني القديم إبان عصور السلاطين العظام من أمثال محمد الثاني وسليم الأول وابنه سليمان، وغيرهم من السلاطين الذين مدوا نفوذ الإمبراطورية وسطوتها خارج حدود الأناضول.

ولم يكن هذا الانغلاق بسبب سلفية تلك المؤسسات وأصوليتها التي تعني الاستماتة في الدفاع عن الأفكار القديمة، بل بسبب المصالح الضيقة والصراع بين أجنحة الحكم، وقوة وضعف السلاطين والصدر الأعظم وغيرهم من المتنفذين، كان التوجس والخوف بل والرعب من إجراء أي تحديث لمؤسسات الحكم والثقافة والدين وراء هذا الرفض، حتى أن طائفة الكُتّاب رفضت في البداية دخول المطبعة إلى إسطنبول خوفا على رزقهم، إلى أن أقنعهم إبراهيم متفرقة، المسيحي الذي تحول إلى الإسلام، ومشغل المطبعة، بأن المطبعة لن تطبع الكتب الدينية التقليدية وستلتزم بطباعة كتب الجغرافيا والتاريخ والرياضيات فقط.

معضلة عثمانية

تفطن العثمانيون للمرة الأولى إلى ضرورة النهل من علوم أوربا الحديثة، بعد معاهدة كارلوفيتزسنة 1698 م، مع كل من آل هابسبورغ حُكام إمبراورية النمسا، وبولندا والبندقية، وبعض القوى الأوروبية الأخرى، إي لحظة شعورهم بأن الانهيار وشيك، إلا أن هذه الفطنة كانت تصطدم بجدار المصالح، إذ سرعان ما يُقضى على الإصلاحيين أيا كانت وظائفهم بما في ذلك السلطان والصدر الأعظم أو شيخ الإسلام.

وهنا نقف أمام لمحة في صورة قانون تاريخي يسنه ستانفورد، وذلك عندما يقول» كان سليم الثالث -حكم من 1789 إلى -1807 وريثا حقيقيا للإصلاحيين العثمانيين في القرن الثامن عشر في تكريسه معظم اهتمامه وطاقته للجيش، لم يدرك هو ولا مستشاروه كم كانت الإصلاحات التكنولوجية في أوروبا ناتجة عن الثورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدثت منذ زمن الإصلاح» انتهى ص 474.

والقانون الذي سنه ستانفورد هنا ينص على أن: التحديث ليس أن تجلب مصنعا أو سلاحا، بل أن تأتي بالأفكار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراء هذا المصنع وخلف قطعة السلاح، وهي مسألة ظلت محل نظر وجدل منذ أن صدمنا نابليون بونابرت باحتلال مصر، وإلى يوم الناس هذا.

العثمانيون من جانبهم لم يكونوا على استعداد لتغيير الأفكار التي عاشوا تحت ظلالها وأسرتهم عبر قرون طويلة، وساهمت المؤسسة الدينية في تكريس هذا الجمود، لا لأن الإسلام يُحل أو يُحرم هذا وذاك، بل لأن مصالحهم كانت مهددة وقابلة للزوال إذا ما حدثت وغيرت السلطنة من كثير من أفكارها، الإنكشارية والسباهية أسقطوا سلاطين وذبحوا عددا ممن تولوا منصب الصدر الأعظم وسفكوا الكثير من دماء أناس حاولوا تحديث المؤسسة العسكرية، التي لم تصمد أمام تحالفات أوروبا وقوة روسيا القيصيرية فقط، بل أمام السلاح الأوروبي الحديث والخطط العسكرية والرجال الأكفاء الذين تعلموا بشكل جيد.

المؤامرة

في فترة من فترات القرن الثامن عشر حاولت بريطانيا وفرنسا الإبقاء على السطنة العثمانية، تخوفا وتوجسا من روسيا، وفي الفترات التي حاول فيها السلاطين تحديث الجيش وإنشاء قوى أخرى موازية للإنكشارية والسباهية واللاوند، لكنها تعمل بالأنظمة الحديثة، جلب السلاطين خبراء من فرنسا وإنجلترا ودول أوروبية أخرى، صحيح أن السلاطين في البداية كانوا يشترطون إسلام هؤلاء الخبراء، إلا أنهم ومنذ عهد السلطان عبدالحميد الأول (1774-1789) تخلوا عن هذا القيد.

كما يجب علينا التفطن إلى أن القوى الأوروبية خاضت حروبا فيما بينها على أساس الدين والجغرافيا والمصالح المعقدة، أي أنها لم تكن متحدة في صراعها مع الدولة العثمانية التي دخلت في حروب مع القوى الأوروبية الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية، بحكم سيطرتها واحتلالها لأجزاء من أوروبا ودخولها إلى مناطق ومجال النفوذ الحيوي الروسي.

وهذا يقودنا إلى الظن إلى أنه لم تكن هناك مؤامرة عالمية واتحاد عالمي يُقاد من قوى غامضة للإطاحة بالإمبراطوية العثمانية، اللهم إلا بعد أن مرضت وشاخت، وأصبح القضاء عليها سنة من سنن التاريخ الجارية، فاتحدت عدة قوى ووجهت لها ضربة قاصمة قضت عليها.

يتبع..

شهادات من داخل معسكرات المجاهدين الليبيين 1911-1912

عرض لبعض الكتب التي وثقت بداية الغزو الإيطالي لليبيا

تناولت العديد من الكتب والدراسات فترة بداية الغزو الإيطالي لليبيا والمعارك التي تخللت تلك الحقبة، سواء أكانت هذه الدراسات والكتب ليبية أو كتبها بحاث ومؤرخون أجانب، وتتنوع وتتباين أهميتها بحسب موضوعها ومحتواها ومكانة وتوجه مؤلفيها، و من ضمنها كتب المذكرات وما دوّنه المراسلون الحربيون للصحف الذين كانوا شهودا حاضرين رافقوا المقاتلين أنفسهم وشهدوا معاركهم وتجولوا في معسكراتهم، هذه الكتابات تحمل أهمية كبيرة من حيث أن الكاتب يعيش الحدث أصلا فليس الخبر كالمعاينة كما يقال، وأنه تدوين مباشر للأحداث خال من التحليل في الغالب، تعطي القارئ انطباعات عن مشاهد مباشرة من وسط المعارك والأحداث مجردة نسبيا من الرأي والتعليق.

وقد كان عديد المراسلين الصحفيين والكتاب والمؤرخين والأطباء وغيرهم قد توافدوا إلى ليبيا بين عامي 1911 - 1912 إما لغرض تغطية الأحداث والمعارك، أو للعمل في بعثات الصليب والهلال الأحمر التي رافق بعضها المجاهدين الليبيين آن ذاك، أو لأغراض أخرى، وتحولت كتاباتهم وتقاريرهم تلك إلى وثائق تاريخية هامة سرعان ما جمعت ونشر بعضها في صورة كتب، ونعرض في هذه المساحة باختصار أهم تلك المؤلفات.

1) من داخل معسكرات المجاهدين في ليبيا - جورج ريمون

وقد ترجمه الدكتور محمد عبد الكريم الوافي وعنونه بهذا الاسم «من داخل معسكرات المجاهدين في ليبيا»، وفي الأصل كان الكتاب عبارة عن تقارير ومقالات صحفية كتبها المؤلف الفرنسي جورج ريمون لصحيفة L'illustration «المصور» التي كان يعمل معها، وقد دخل إلى ليبيا من الحدود التونسية بتاريخ 17 يناير 1912 وخرج منها عبر الحدود المصرية بتاريخ 20 مايو 1912 .. في رحلة قطع فيها ليبيا من غربها إلى شرقها ومر بمدنها وقراها ومناطقها المختلفة.

ويعتبر هذا الكتاب واحدا من أهم وأبرز الكتب التي تناولت أحداث هذه الفترة، إذ يتميز مؤلفه بأنه دخل عديد المعسكرات وتحاور مع عديد من أفراد قادة المجاهدين الليبيين فيها، مثل معسكر «العزيزية» ومعسكر «بن غشير» ومعسكر «المرقب» في الخمس، ومعسكر «الكويفية» ببنغازي، ومعسكر «عين بو منصور» في درنة، ومعسكر «طبرق» وغير ذلك من المواقع العسكرية المهمة والمستشفيات الميدانية

وأماكن التجمع وغير ذلك من الأماكن التي وطأتها أقدامه أكثر من أي صحفي آخر شاركه تغطية أحداث الحرب.

ويروي الكتاب بأسلوب سلس ولغة أدبية أحداثا وحوارات هامة وحقائق أخفيت وقتها عن القارئ الأوربي، ويرد الكاتب أحيانا على بعض المزاعم الخاطئة، كما لا يخفي إعجابه الشديد بشجاعة من قابلهم وارتبط بقصصهم ويتحدث بحزن عميق في آخر كتابه حين فارق رفاق رحلته وغادر ليبيا

وبالإضافة إلى موضوع الكتاب الأصلي المتركز على الجانب العسكري للأحداث فهو لم يهمل أن يدون انطباعاته عن ليبيا كبلد وعن أهلها من كافة النواحي الجغرافية والطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يقود د محمد الوافي:-

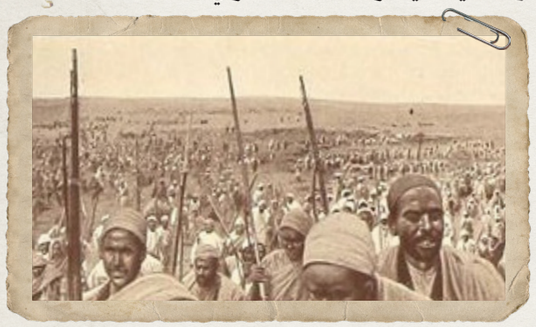

(نجده يستطرد إلى ذكر كل ما يمس حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ويؤرخ لها في تلك الفترة، فالكتاب من هذه الزاوية دراسة سوسيولوجية و نفسية واقتصادية لا يستهان بها، فالمؤلف يتناول بقلمه بنياتنا الاجتماعية فيصف حضرنا وباديتنا، ويعدد قبائلنا واصفا أنجعها و مراعيها و يحصي أسماء معظمها فلا يخطئ فيها، وهو يرسم ببيانه لوحات انطباعية لصحرائنا وواحاتنا وقرانا ومدننا ومراعينا، وآبارنا وشطآننا وجبالنا وسهولنا، ويطيل في وصف الصحراء وما يناله فيها من عطش و إرهاق ويصور رمالها وسرابها الخادع ومياهها الشحيحة وإبلها وثعابينها وعواصفها الرملية ويتحدث عن رياح القبلي وعن النخيل والتين والزيتون، والزهور البرية والأعشاب الصحراوية، وهو يبدي إعجابه بالجبل الأخضر وغاباته و طيوره و مراعيه وأرزه و صنوبره وبطومه، ولا يغفل الحديث عن الأسواق والشوارع والأزقة وطراز البناء، ويثني فيرصد أوصاف نادرة للآثار اليونانية والرومانية في كل نواحي بلادنا قبل أن تسرق المتاحف الإيطالية - فها بعد - الكثير من تحتفها وتماثيلها، فهو يصف «لبدة» الرومانية و «قورنّة» الإغريقية وغيرهما، وهو يتأمل أيضا فولكلورنا الشعبي ويطيل في التحدث عن أغانينا وأهازيجنا الحربية بل ويترجم بعضها، كا يتطرق إلى وصف الطرق الصوفية ويصور مواكبها ويعرض لأضرحة المرابطين والأولياء كلما مر بها فيستطرد إلى ذكر ما سمعه عنهم وعن سير حياتهم ولا ينسى أن يصف لنا المجاعات التي تضرب أطنابها في بلادنا وقت الحرب مصورا حالة البؤس التي كان يحياها الناس ... إلخ.)

وزيادة على كل ما سبق يحتوي الكتاب بين دفتيه مجموعة نادرة من الصور التوثيقية التي التقطها المؤلف خلال رحلته التي امتدت 4 أشهر، ومن أهم ما يميزه دقة التواريخ وترتيبها إذ يذكر المؤلف تواريخ الأحداث وتواريخ كتابته للمذكرات بقدر ما استطاع من دقة مما يكسبها ثقة أكبر لدى القارئ

-اقتباسات من الكتاب

«إن هذه الرحلة وهذه الحرب تتحفني كل يوم بالمزيد من المشاهد الدينية أو القتالية أو الطبيعية، التي لا يكاد العقل يصدق روعتها وغرابتها، فإن عقلي وناظري تسعد كل يوم بتأمل مواقف نبيلة والاجتماع بقوم وأناس متباينين، والحق أن هذا لم أكن أحلم به.

غير أن الشيء الذي ينكد علي هذه السعادة ويشوهها هو شعوري في قرارة نفسي بأنني إنسان غريب على مثل هذه المشاهد، فأنا لا أعجب سوى بظواهرها فقط، بعيوني وبخيالي، ولكنني لا أسهم فيها كواحد من أبطالها،

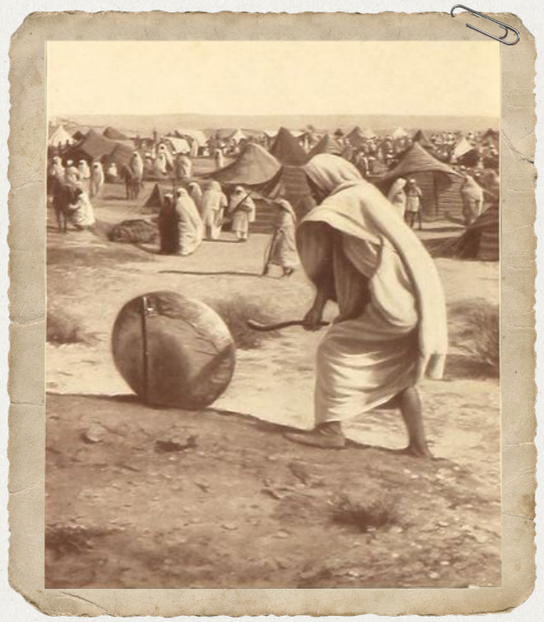

فما أفعله لا يعدو أن يكون إعجابا شبيها بإعجاب المرء بفن من الفنون التشكيلية، فقد تعجبني الطريقة التي يسدل بها الليبي رداءه [الجرد] فوق كتفه، أو تلذ لي مشاهدته في حركاته وسكناته، أو مظاهر ورعه وإيمانه بربّه، أو بطولته في الدفاع عن وطنه، ومع ذلك فإنه يظل لدي انطباع مؤكد بعجزي عن سبر أغوار نفوس هؤلاء الناس...»

2) الحرب المقدسة في طرابلس الغرب

- جون آبوت

جون آبوت هو كاتب ومؤرخ إنجليزي وصل إلى ليبيا في ديسمبر سنة 1911 في وقت مبكر من أحداث الغزو الإيطالي، وكان حضوره لإعداد تقارير ودراسة عن الحرب، وقد حظي بثقة السلطات آن ذاك، وقد مكنته هذه الثقة من الاطلاع على كثير من الوثائق والأمور المهمة وعلى مرافقة عدد من الضباط والتقرب منهم كأصدقاء والدخول إلى معسكرات المجاهدين وتغطية الأحداث وطريقة الحياة فيها.

تجربة المؤلف محدودة المساحة مقارنة بسابقه إذ أنه دخل من الحدود الليبية التونسية عبر زوارة وصولا إلى طرابلس وقد مكث مدة في معسكرات «سواني بني آدم» و «فندق بن غشير» ولم يكمل طريقه لأبعد من ذلك، لكن مدة بقاءه وقربه من شخصيات بارزة وحضوره لمعارك مهمة لم يتسن لغيره حضورها بسبب مجيئه المبكر، كلها أمور تكسب كتاباته أهمية وتميزا.

ويتخذ الكتاب طريقة السرد ولا يلتزم بتدوين التواريخ اليومية بدقة كما هو الحال مع «ريمون»، لكن الكتاب يذكر الكثير من الأحداث العسكرية والعادات الاجتماعية والحكايات الطريفة والهامة التي مرت بالكاتب، ويقول المؤلف أنه حاول قدر الإمكان الالتزام بالصدق والتجرد في سرده التاريخي رغم صعوبة المهمة.

-مشاهداته الليلية في معسكر المجاهدين:

«وبعد ان اخذوا كفايتهم من الأكل والشراب جلسوا حول النار المتوهجة يغنون بين حين وآخر بصوره فرديه او جماعية وفي بعض الاحيان يقف واحد ويرتل شيئا من القرآن ليضمنوا لأنفسهم النصر على العدو ويردد البقيه «الله الله» وهم يتمايلون إلى الخلف والأمام بعيون مركزة على النار المشتعلة في الموقد والتي حافظوا على اشتعالها بلقاء المزيد من الحطب الجاف، وقد سقط وهج النار على الوجوه الحادة الصارمة والتراتيل التي يحملها هواء الليل فتكونت بذلك صوره صغيره من الضوء والغناء محاطة بإطار من الظلام وسكون الصحراء، وبعد فتره يتوقف الغناء وتخمد النار و كل رجل يستلقي على ظهره وينام و يغطي راسه بعباءته.

... وفي كل وقت من اوقات الصلاة نشاهد صفوفا متراصة من الرجال الطوال القامه النحيلي الأجسام والملتفين بعباءاتهم -جرود- نراهم وهم يقفون و ينحنون ويسجدون ويكررون ذلك.

وهم بالإضافة الى قدرتهم على التحمل وتقشفهم وتمسكهم بأهداب دينهم فإن الشجاعة التي أبداها هؤلاء الرجال من ابناء الصحراء قد يتضاءل الإسبرطيون والرومان بجانبها، وهم يسلمون انفسهم لموسى الجراح دون مخدر ودون خوف ينظرون الى اطرافهم وهي تبتر كما لو كانت تخص شخصا آخر، والشيء الوحيد الذي يرهبونه هو الحد من حريتهم وحجزهم.»

-فلسفة معليش !

«» في البداية تضايقت بسبب وسائل العيش المتواضعة ونقص الماء وكثرة الرمال .. إنه شيء لا يحتمل , ولكن سرعان ما تبين لي عدم جدوى التأسف والاستياء وقبلت بسرور عقيدة الرجال الذين أعيش معهم وذلك بأن أحتقر الراحة وأحصن نفسي بفلسفتهم الداعية إلى اللامبالاة !

وقد نجحت إلى حد ما، وفي الحال تم اخضاع مقاييس الراحة عندي إلى تعديلات عجيبة واكتشفت أن ما يحتاجه الانسان من ضروريات الحياة قليل جدا، فشمعة واحدة تكفي للإضاءة وحقيبة الملابس يمكن استعمالها

ككرسي فاخر وعدد قليل من البطاطين يصلح كفراش وخاصة إذا طرح تحتها قليل من التبن وأنا لا أحسد أي أوربي مترف على سريره المريح المصنوع من الريش، وان الشربة التي اشربها الآن هي كالماء، وآكل الخبز مخلوطا بالرمل بدون مضغ، وأستطيب الأكل المحلي وكأنني لم أذق وليمة فاخرة من قبل، والأشياء التي كانت تعافها نفسي لم تعد تعافها، وحتى المضايقات البسيطة الأخرى لم تعد تقلقني، وأنا مدين بكل هذا إلى فلسفة معليش»

-الوداع

«وعند نزولي -على ارض مارسيليا- شعرت كما لو كنت قد تركت ورائي جزءا هاما مني، إلا أنني وجدت عزاء فيما عدت به من ذكريات عظيمة مرتبطة بالمساحات الشاسعة التي لا تحدها حدود ولا تحكمها قيود، والقلوب الكبيرة قلوب الرجال الذين لا يهابون الموت»

3) مغامرات طبيب في الصحراء - ارنست جريفن

يختلف هذا الكتاب في أن مؤلفه لم يكن مراسلا أو كاتبا صحفيا أو مؤرخا، فالطبيب والكابتن الإنجليزي ارنست جريفن (Ernest H. Griffin) كان قد دخل ليبيا سنة 1912 كطبيب ميداني، ومن المعلوم أن فترة الحرب تلك قد شهدت قدوم أطباء منفردين أو بعثات طبية مختلفة على سبيل التطوع أو التكليف من انجلترا وألمانيا وفرنسا وتركيا ودول أخرى عديدة، وقد كانت

ظروف عمل جريفن قد مكّنته من أن يكون على مقربة من الجرحى والمصابين ضمن صفوف المجاهدين الليبيين والضباط العثمانيين وقد تنقل معهم عبر عدة مواقع في ضواحي طرابلس وجنزور والزاوية وغريان والرابطة ويفرن وغيرها من المدن والقرى والواحات التي شكّلت مسار رحلة عمله، واضافة إلى الجرحى فقد عالج الكثير من عامة الناس والذين كانوا يشتكون أمراضا عديدة ومختلفة، وإضافة لأحداث الحرب ويوميات من التقى بهم من المجاهدين وقادتهم وأوصافهم، فإن الكتاب يصف أيضا كثيرا من الجوانب الأخرى خصوصا تلك التي تخص جانب عمله فيشير أحيانا إلى الوضع الصحي والمعيشي للبلاد آن ذاك، وبعض النواحي الاجتماعية لحياة السكان، ويضم بين دفتيه ألبوم صور نادر ومميز لتلك الرحلة، والكتاب بشكل عام عبارة عن مذكرات للطبيب ورغم حكاياته المشوقة ووصفه الجميل إلا أن الكاتب لا يذكر تواريخ الأحداث بدقة ولا يخلو كغيره من بعض الأخطاء.

بعض مما ورد في الكتاب :-

-ثناؤه على أخلاق نزلاءه

« ... جميع مرضاي كانوا يشكرونني بدون حدود وبمختلف الطرق لما قدمت لهم، فالنساء كن دائما يحملن بيضة أو زجاجة بها حليب أو بعض العشب لجوادي، ولمعرفتي بظروفهم الصعبة وحاجتهم الماسة لتلك الأشياء خصوصا الغذائية منها فقد كنت أرفضها بأدب وأعيدها إليهم لأنهم أولى بها .

ولابد أن اعترف بأنني كنت أشعر بالغبطة والسرور فأولئك الناس كانوا فقراء جدا بل معدمين ورغم ذلك يقدمون لي طعامهم الذي يحتاجونه أكثر مني»

-شبح الحرب

«هنا وهناك يمكن مشاهدة النساء المتحجبات يسقن قطعان الماشية عائدات من المراعي، وفي الوقت الذي كن يمررن فيه بقربي كن يضعن الحجاب برفق كي يتفادين نظرات الغريب، والصوت الوحيد الذي يسمع هو فقط ثغاء القطعان من الماشية وخرير آبار المياه حيث يسحب العرب كميات المياه اللازمة لهم في المساء، لا يمكن للمرء أن يتخيل سلاما وهدوء أفضل من ذلك، لكن بسرعة ظهر شبح الحرب ...»

4) عامان مع الهلال - سيبينغ رايت

عمل هنري تشارلز سيبينغ رايت Seppings Wright وهو صحفي بريطاني كمراسل لمجلة أخبار لندن المصورة « The Illustrated London News» وهي أول مجلة إخبارية أسبوعية مصورة في العالم، وكان مجيئه إلى ليبيا في أكتوبر سنة 1911 وظل فيها حتى شهر مارس من سنة 1912 وانتقل بعدها إلى البلقان، وكتابه يحمل عنوان «عامان مع الهلال» بالإنجليزية «Two Years Under The Crescent»، وهو بالإضافة إلى كونه صحفيا متمرسا صاحب قلم متمكن يعرف كيف يتناول المواضيع التي يقوم بالكتابة عنها، فقد أضاف إلى ذلك ريشته وموهبته في الرسم التي شاركت كتاباته تغطية الأحداث التي عاشها، يروي الكتاب حكايات عن معارك شهيرة عدة في بداية الاحتلال الإيطالي عايشها الكاتب مثل معركة سواني بني آدم ومعركة المرقب في الخمس، ومعركة سيدي سعيد في زوارة، كما ركز الكاتب على عدة مواضيع مهمة أبرزها استخدام الطيران الحربي لأول مرة في التاريخ مبرزا تخوفه مما سيحمله مستقبل تطوير هذا النوع من الحرب الجوية، وهو تخوف صار واقعا بعد فترة وجيزة حيث كانت القنابل الأولى التي أمطرتها طائرات إيطاليا على الليبيين بداية فصل لمستقبل حربي مظلم حيث أن القنابل ستنزل لاحقا فوق رؤوس الناس في كل انحاء العالم وبطريقة أشد فتكا وأكثر انتشارا، ويشير الكاتب أيضا الى دخول تقنيات ومعدات مثل الهاتف واستخدامها في هذه الحرب، ويتحدث عن رابطة نسائية تضم أربعين امرأة اجتمعن برغم اعتراض أهلهن وأقسمن على حمل السيف والبندقية والقتال جنبا إلى جنب مع الرجال حتى يتم تطهير بلادهن من الغزاة، ويشير إلى الأوضاع الصحية واللوجستية في الجبهات، وأوضاع الأسرى الإيطاليين، وينقل نص حوارات مقتضبة أجراها مع بعض قادة المجاهدين الليبيين والضباط الأتراك، إلى غير ذلك من القصص والمواضيع التي أبرزها المؤلف بأسلوبه الجميل، فضلا عن بضع لوحات وصور أودعها كتابه.

بعض مما ورد في الكتاب :-

-جسم غريب في السماء

« في صباح أحد الأيام وفي حوالي الساعة الثامنة صباحا ظهر شيء في سماء طرابلس، وشاهد الناس جسما يشبه القمر يطير فوق سماء المدينة، كانت السماء ملبدة بالغيوم حتى خرج منه دخان بنفسجي حجب الأفق، لم تدم حيرتنا طويلا اذ سرعان ما اتضح أن الجسم الذي شاهدناه في الهواء كان منطادا، وهو إرهاب جديد قصد به وضع حد لنشاطات رجال الصحراء هؤلاء الذين عجزت الأسلحة التقليدية عن تركيعهم»

« لا أحد يعرف ما ستنتهي إليه التطورات المذهلة والمروعة التي نجمت عن دخول السلاح الجوي ضمن آليات الحرب الحديثة، حتى وقت قصير مضى كان استخدام هذه الآلات في الحرب مقتصرا على القصص الخيالية لجون فيرن وكتاب الخيال العلمي أمثاله، أما اليوم فقد أصبح الخيال حقيقة، ودخول المنطاد والطائرة في هذه الحرب يعد أهم حدث فيها.

مجرد التفكير عن ماذا سينجم عن هذا التطور بالنظر إلى التقدم التقني المستمر يهز الذهن ويشل حركة العقل، ماعرفته حتى الآن أنه حول حياة الناس بسواني بنيادم إلى دوامة من الفزع والقلق.»

-النساء المقاتلات

«لم يقتصر الجهاد على الرجال فقط بل إن نساء كثيرات شاركن فيه بصورة مباشرة، وتحدث الناس عن قصه لرابطة من النساء تضم في عضويتها أربعين امرأة اجتمعن برغم اعتراضات أهلهن وأقسمن على حمل السيف والبندقية والقتال جنبا إلى جنب مع الرجال حتى يتم تطهير البلاد من الغزاة، وتحضرني هنا قصه حدثت أمامي .. لقد شاهدت في أحد الأيام فتاة اسمها سليمة وكانت تجلس عند مدخل خيمتي وكانت قد عادت من الخنادق وتحمل بندقيه ايطالية وسيفا معقوفا ورمحا، وتربط الى خصرها حزاما مليئا بالذخيرة، وأخذت تحدثني عن المعارك الذي خاضتها والقتال الذي شهدته و كانت تتحدث بطلاقة كمن يقرأ قائمة اصناف الطعام المعروضة على الزبائن، وكان الشرر يتطاير من عينيها السوداوين وهي تحدثني عن الأعداء الذين قتلتهم خلال الثلاثة أشهر الأخيرة، وكانت البندقية التي تحملها والرمح أسلابا غنمتها من العدو، إنها من نوع نساء اسبارطة لأنها اقسمت أن لا تتزوج من رجل لا يتفق مع المبادئ والمعايير التي تريدها في رفيق دربها لأنها جائزه لا تقدر بثمن»

التراث المعماري والحرفي الغدامسي في كتابات الباحثة سعدية بن يونس

للبيئة أثرها على ثقافة الأفراد والمجتمعات بلا شك، والنتاج الأدبي والبحثي ما هو إلا حصيلة ثقافة المجتمع التي تنعكس على شخصية الكاتب بشكل أو بآخر، وتحدد مساراته في بعض الأحيان. وغدامس ككل التجمعات ذات الحضارة العميقة لابد وأن يكون لها حضور في نتاج أبنائها الأدبي، والباحثة والكاتبة أ. سعدية بن يونس تأثرت ببيئتها وبثقافة وتراث غدامس عامة فكانت نتاجها المعرفي متمحورا حول غدامس وثقافتها وتاريخها وتراثها اللامع.

ومن اهم الكتب للباحثة: سعدية بن يونس كتاب «فن الزنجفور في غدامس – أكلف –» وقد تناولت فيه معنى الزنجفور وهو المركب الذي يمكن ان نجده بدرجات متدرجة من الأحمر والذي يستعمل لأغراض الصباغة والرسم وحتى الكتابة. وأوضحت قدم استخدام هذه المادة منذ عهود قديمة فهي معروفة في الصين وروما. كما تطرقت إلى معناه عند اهالي غدامس وبأنه ذلك المسحوق الذي تُزخرَف به جدران وأبواب بيوت غدامس القديمة فهي سجل ومتحف لهذا الفن الذي يختزل الثقافات والحضارات التي مرت بغدامس عبر التاريخ فقد نجد إيحاءات نوميدية او رومانية رغم ان الأثر الأكبر يبقى إسلاميا. كما بينت الباحثة الطريقة القليدية لخلط الزنجفور وتهيئته ليكون مادة للرسم والتلوين معاً وذلك بخلطه بصفار البيض وبالصمغ العربي المستورد من أراضي أفريقية المختلفة وركزت الباحثة على اشكال الوحدات الزخرفية لفن الزنجفور وأسمائها الأمازيغية وحرصت على كتابتها بالعربية ليتمكن الجميع من فهمها، كما أوضحت مكان رسم كل وحدة من وحدات زخارف الزنجفور وطريقة تلوينها للوصول إلى نتيجة تبهر كل من يشاهدها. ولم يغب على الباحثة ذكر استعمالات مادة الزنجفور في غير النقوش التي على الجدران والابواب، كاستخدامه النسائي في الزينة، وفي النقش على عصا المسافر التي

تُجهز له لحملها تذكاراً ينطلق بها لتعينه في طريقه وسفره.

أما كتاب: «أطباق غدامس السعفية» وهو أيضاً من منشورات جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس فقد اتخذت الكاتبة في بحثها نفس أسلوبها في كتاب فن الزنجفور تقريبا. فتطرقت إلى عالمية الصناعات السعفية والتي تتشابه بالصناعة القائمة على الخيزران وتطرقت إلى أسماء أشهر حرفيات صناعة الأطباق، وبينت الأجزاء والمسميات العامة التي تتشاركها كل النقوش، فأوضحت اسم كل نقش من النقوش المطبقة في صناعة الأطباق وتناولتها بالتحليل والقياس للوصول إلى أساس كل نقش وسبب تسميته ومقارنته بالنقوش الأخرى ومصدره الذي أُقتُبس منه والذي عادة ما يكون من البيئة المحيطة. وفي الكتاب تعريف ببعض النقوش المقتبسة من الأطباق السعفية الموجودة في المناطق الأخرى والتي عدلتها حرفيات غدامس فحملت طابعاً محلياً وإن لم يكن أصيلاً سواء كانت هذه النقوش من مناطق داخل ليبيا أو خارجها وسواءً كانت قريبة من غدامس كدرج أو بعيدة كنقوش أطباق غات وتوات. والحقيقة أن كل كتب الباحثة – سعدية بن يونس – و كتاب – أطباق غدامس السعفية – تمثل قاعدة بيانات مهمة لجوانب من تراث جوهرة الصحراء غدامس، ففي كتاب الأطباق مثلاً والذي وثقت فيه الباحثة ما يزيد عن السبعين نقشاً، أوردت أسماء بعض النقوش الموجودة اسماً لكنها غير معروفة شكلاً لانقراضها لكن الأمل في إيجادها باقٍ باعتبار أن ثنايا بعض بيوت غدامس باقية تحت الركام لسبب أو لآخر ومن المحتمل إخراج بعض الكنوز من تحتها.

أما كتاب – حدث في غدامس – فهو مجموعة قصص وأحداث جرت في غدامس. وهو من منشورات غسوف للخدمات الإعلامية. فقد خرجت فيه سعدية يونس عن نمط البحث العلمي، إلى الكتابة الأدبية التي تنم عن ملكة الكتابة الأدبية العالية لديها، فقد استعملت النثر في كتابها بالكثير من التعابير والأساليب البلاغية.

وآخر كتب الباحثة وليس هو كتاب «ترجانين – أسقف الدمس في بيوت غدامس القديمة» من منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية. وهو كتاب يهتم بالجوانب المعمارية، ويتحدث عن نمط معين لبناء بيوت غدامس القديمة وهو الدمس وأسهبت فيه الباحثة عن معنى ترجانين وسبب اختيار الاسم من قبل الأهالي ودلالته والتقنية المتبعة لإنجازه وبينت الأجزاء المسقفة من البيت بتقنية الدمس وتطرقت إلى جذورها وأساليبها واستعمالاتها.

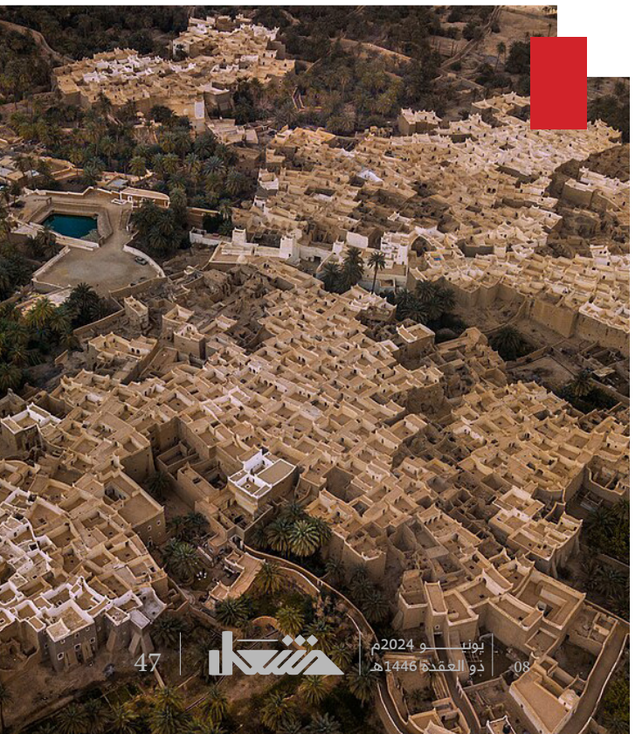

كتاب «النحو التعبيـري: مقاربة جديدة في تعليم النحـــو العـربي وتعلمـه للناطقيـــن بغيـــر اللغـــة العربيـــة»

يأتي هـذا الكتاب من تأليف اللغـوي الدكتور محمد محمـد يونـس، والـذي صـدر عـن منظمـة العالم الإسـلامي للتربية والعلوم والثقافة « الإيسيسـكو» في إطار مبـادرات تجديد علم النحـو وتطويره وتقديم نظريات وأسـاليب جديدة في تعليمه وتدريسـه، وقد أشـغل هذا الموضوع كثـيرا من الباحثـين والمختصين في المجـال اللغوي والتعليـمي، وإن كان الكتاب قد اتخذ من عنوانه مسـألة تعليم النحو للناطقـين بغير اللغة العربيـة مجالا رئيسـيا، فإنـه في الواقع يغطـي ما هو أوسـع من ذلك ليشـمل تعليم النحـو في العموم.

وقـد بـدأ اهتمـام المؤلـف بالنظريـة التي سـمّاها «النحـو التعبيري» منذ تسـعينيات القـرن الماضي، حين أسـندت إليه مهمـة تدريس مادة «فـن الكتابة والتعبـير» في جامعـة الشـارقة، فأعد منهجـا خاصا للمادة حيث لم يجد ما يسـعفه في تدريسـها، وقسمه لعناصـر ثلاثـة هي بنـاء الجملة وبنـاء الفقـرة وبناء النص، وبـوب فيه النحـو على ترتيب غـير معهود في الكتـب وأسـاليب تدريس النحـو التقليدية

ويغطـي النحـو التعبـيري مسـتويات الدراسـة النحويـة الثلاثـة: المبـنى والمعـنى والوظيفـة، ولكنه يرتبها ترتيبا معاكسـا لما هو عليـه في الكتب النحوية التقليديـة، لكونه يتمحور حـول الوظيفة التعبيرية أو التخاطبيـة. فيراعي الغرض الإبلاغـي أولا، ثم يبحث عن المعنى المناسـب لهـذا الغرض، ويصـف العناصر أو التغيـرات البنائية التي يتطلبهـا الغرض الإبلاغي.

ويفـترض المؤلف أن النحو العربي بشـكله التقليدي القائم علـى نظرية العامـل إنما هو نحو ناقـص، إذ لو حـذف منه الإعـراب ومـا تمحـور حوله، فلـن يبقى منه الكثير

ويضيف محمد محمد يونـس أن بيداغوجيا التعلم في النحـو التعبـيري تقوم علـى المحاكاة الـتي تقتضي أن ينسـج المتعلم قولاته علـى مناويل الجمـل النواة المرتبطـة إلى حـد كبـير بالمواضعـات على المسـتوى التركيـبي، وبذلـك يحاكـي الطريقـة الطبعيـة في اكتسـاب اللغـة الأولى والثانيـة. ومـن ثم يسـير في

اتجاه الهدف الذي يرمي إليه النحو وفقا لتعريف أبي الفتح عثمان بن جني بأنه انتحاء سمت كلام العرب.

ويقول مؤلفه أن الهدف من النحو التعبيري: «هو تنمية مهارة التعبير على مستوى الجملة، اعتمادًا على ما يتعرض له المتعلم في هذا الكتاب من مختلف الأنماط الشائعة التي تأتي عليها الجملة في اللغة العربية، واستنادًا إلى ما قدّم فيه من قواعد شاملة لبناء الجملة تجاوزت ما يقدّم في النحو الإعرابي الشائع، الذي يعنى أساسا بحركة الحرف الأخير من الكلمة»

كما اعتمد الكتاب طريقة جديدة في تبويب أبواب النحو، بطريقة مواكبة للأغراض التخاطبية التي يعبر عنها المتكلمون عادة، وملبية لحاجاتهم التخاطبية؛ ويضيف المؤلف: «إذ لا يخلو الكلام عادة من إخبار على وجه الإثبات أو النفي، وعلى سبيل الإرسال أو التأكيد. ومع الاقتران بزمن وخلوه منه، وبالبناء للمعلوم أو البناء للمجهول، وبالاكتفاء بالإسناد أو بإضافة قيد فيه، أو طلب يحصل به الفعل أو يُترك، أو طلب يتعذر أو يعسر حصوله، أو إنشاء غير طلبي يكون به التعجب، أو المدح، أو الأم، أو إيقاف حصول الأمر على شرط. فإذا ما تجاوزنا الجملة، فسنجد أن الكتاب قد غطى أهم ما يحتاج إليه الطالب في نحو النص، وهو التدرب على الربط بين الجمل. واستعمال الإحالة استعمالا سليما».

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أقسام، مقدمة أوضح فيها رؤيته ومفهومه للنحو التعبيري، وجزء نظري أوضح فيه نطاق المشروع ومسالكه الذهنية والنحوية، ومسالك النظم والتعليق والربط والوظيفة في اللغة والنحو، كما أوضح فيه أهداف المشروع التي لخصها في خمسة أهداف هي:

- تغيير طريقة تدريس النحو التقليدي المعتمد على نظرية العامل، إلى تدريس النحو وفقًا للحاجات التخاطبية والتعبيرية.
- تعليم النحو العربي في مدة وجيزة بالتركيز على الموضوعات الأكثر استعمالا، والأبواب النحوية الأكثر شيوعا.
- إعادة تبويب النحو وظيفيا وتعبيريا، بحيث تكون مداخل الأبواب مداخل مرتبطة بمهارات التخاطب
- تنمية مهارات الطالب في التعبير عن حاجاته التخاطبية اعتمادا على أنماط الجملة العربية وقواعد نحوها
- تسخير النحو في إضفاء صفة التماسك على النص باستعمال أدوات الربط، والإحالة بأنواعها.

أما الجزء الثاني من الكتاب فهو الجزء التطبيقي، وهو قسم وضع فيه عددا من الأمثلة والتطبيقات والتمرينات والاختبارات النحوية واللغوية، وفق المفاهيم والترتيب والأبواب التي وضعها في الجانب النظري.

ويقول اللغوي د. محمد خليل الزروق: «إنه على كثرة ما كتب من قديم في تجديد النحو وإحيائه وتطويره وإصلاحه.. وجدت مشروع النحو التعبيري أكثرها جدوى وجدية لأنه يراعي دواعي الاستعمال والتحاور وحاجات التعلم والتدريب ويكشف كثيرا من قدرات اللغة العربية المخبوءة بإحيائها وتصنيفها ووضعها في مواضعها بحسب المعاني النحوية والأسلوبية والإبلاغية والبلاغية»، لكن الزروق يخالف يونس في وصفه النحو العربي بأنه نحو إعرابي يقصد فقط إلى صون اللسان عن الخطأ في أحوال أواخر الكلم. موضحا أن هذا المعنى إنما روجه وثبته في الأذهان بعض التعريفات والتصورات أكثرها في أعمال المتأخرين.

وفي الجملة فإن هذا الكتاب الفريد المختلف في طرحه الذي يحمل رؤية جديدة لتعليم النحو واللغة، والمقدمة من أحد أبرز المنشغلين باللسانيات العربية، جدير بأن يحظى بمزيد من الاهتمام النظري والعملية لتجربته وتطبيقاته.

المدار الإسلامي تصدر ترجمة لدراستين جديدتين في الحجاج القرآني

أعلنت دار المدار الإسلامي إصدار كتابين مترجمين يعنيان بالدراسات القرآنية، وجاء الكتابان في سياق المشروع الدار الذي أسمته: «سلسلة تأصيل العلوم الإنسانية في الحضارة العربية الإسلامية»

حمل الإصدار الأول عنوان: «الحجاج في القرآن» من تأليف الأستاذة: كيت زيبري، الأستاذة في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن.

وتقول دار المدار في مقدمتها للكتاب إن ما يزيد الكتاب أهمية، أن مؤلفته تتمحص جهودها، أو تكاد لفكرة الحجاج وما يدور في فلكها.

مضيفة أن الكتاب يُعنى عِنايَةً واضِحَةً بِمُنْهَجِ تصنيف المادَّةِ الحِجاجِيَّةِ القرآنية، إذ تُصَرِّح فيه المؤلفة بأن منهجها في تصنيفه يقوم على أساس موضوعات الحجاج في القرآن الكريم.

وبالمثل، فالإصدار الآخر من تأليف روزالِند وورد غوين، الباحثة في الدراسات الإسلامية والأستاذة السابقة في جامعة تينيسي، والذي حمل عنوان: «المَنطِقُ، والبَلاغَةُ، والاستِدلالُ الشَّرعِيُّ في القُرآن»، يتمحور حول أنَّ الاستِدلال والحِجاج أساسِيّانِ في القُرآنِ الكريم، وحيث تستقصي فيه أنماطَ الحِجاجِ الأَساسِيَّةَ التي لَجَأَ إلَيها القُرآن الكريم، وبِنائها كِتابَها عَلى أَساسِ هذهِ الأَنماطِ.

صناعة البحوث وتحقيق النصوص

في كتاب جديد للدكتور محمد خليل الزروق

صدر عن دار الوليد كتاب جديد يطرق أصول وأساسيات التحقيق والبحث العلمي، الكتاب الذي حمل عنوان «صناعة البحوث العلمية وتحقيق النصوص العربية»، من تأليف الدكتور محمد خليل الزروق، وهو نتاج مسيرة علمية طويلة، أودعها مؤلفها خلاصة معرفته وتجربته في ميادين البحث والتأليف والتحقيق التي كان له فيها إسهامات بارزة.

وقد قسم الكتاب إلى عدة أبواب وفصول وفقرات، تناولت المنهج وأنواعه: منهج التفكير، ومنهج العمل ومنهج الكتابة، كمقدمة وتأصيل لموضوع كتابه وهو البحث وكتابته.

وفي هذا الصدد قسم الدكتور الزروق أنواع البحث التي خصها بكتابه إلى قسمين: بحث يقصد به دراسة موضوع ما، وبحث يقصد به تحقيق نص، وتناول كل ما يتصل بكتابة كل نوع منهما بدءا من اختيار الموضوع والعنوان، ووضع خطة للبحث، وحتى اختتامه بالمراجع والمصادر والطريقة المثلى لكتابتها.

وقد اهتم المؤلف بآداب وأخلاق الباحث، وأهمها الإخلاص، والأمانة العلمية، ونسبة كل فضل لأهله، والإنصاف والتجرد من الهوى، وحسن اختيار الألفاظ، وعدم التكلف فيها، والعناية بأدق تفاصيل البحث من تنسيق وإخراج وترقيم وغير ذلك.

ومما امتاز به الكتاب – وهو أمر معتاد من مؤلفه – حسن العبارة، وجمال السرد والكتابة، والترتيب والتبويب الذي اتبعه، مما يسهل على القارئ والباحث فهم فصوله وإدراك مقصوده.

مركز الإمام ابن عبد الغالب المصراتي

يعلن عن إصداراته الجديدة

ضمن اهتمامه بإبراز ونشر الإنتاج العلمي لعلماء ليبيا وفقهائها، تأليفا وتحقيقا ودراسة، وإتاحته لطلاب العلم، أعلن مركز الإمام ابن عبد الغالب عن سلسلة من الإصدارات الجديدة لعام 2025م، وتركز الإصدارات حول موضوع السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، إلى جانب الفقه وأصوله، وجاءت أبرز العناوين كالتالي:

الاستدلال بالسنة النبوية في فتاوى علماء ليبيا

نظم مركز الإمام ابن عبد الغالب المصراتي حفل توقيع لإطلاق كتاب «الاستدلال بالسنة النبوية في فتاوى علماء ليبيا» لمؤلفه الأستاذ الشيخ علي محمد حمّودة، وقد حضر الاحتفالية جمع من طلاب العلم والأعيان والمشايخ، كما حضر الحفل رئيس المركز الدكتور أحمد علي أميمة، حيث ألقى كلمة أثنى فيها على مؤلف الكتاب الذي قدم بدوره نبذة عن عمله ومنهج تأليفه ومباحث كتابه، واختُتم الحفل بعدد من المداخلات من الحاضرين، تلاها توقيع الشيخ لعدد من نسخ كتابه.

القواعد الفقهية

كما أعلن مركز الإمام ابن عبد الغالب طرح كتاب آخر في أرفف المكتبات قريبا، وهو كتاب: «القواعد الفقهية.. مفهومها، نشأتها، عناصرها، أقسامها» للشيخ الدكتور حمزة أبو فارس، والشيخ حمزة أبو فارس عضو بالمجمع الفقهي الدولي، وعضو بدار الإفتاء الليبية، وقد عرف بعنايته واهتمامه بالفقه وأصوله خاصة على مذهب الإمام مالك.

موطّئ الموطأ

ومن جملة الإصدارات التي أعلن المركز عن نشرها في سنة 2025، كتاب اختصار الموطأ «موطئ موطأ الإمام مالك»، للشيخ محمد يحي بن سليم اليونسي الشنقيطي، من تحقيق الدكتور أحمد علي اميمة، وقد قدم للكتاب كل من الشيخ حمزة أبو فارس والشيخ مجد مكّي.

خدماتنـــــــا

• المكتـــــبة العامـــــة

يوفـر مركـز الشـيخ علـي الغريـاني للكتـاب مكتبـة عامة تحتوي علـى ما يقـرب من 40 ألـف كتاب في مختلف صنـوف المعرفة والعلوم، مصنفـة ومرتبة ومجهزة وفـق أفضل أنظمة تصنيـف المكتبات، وتفتح المكتبـة أبوابهـا للـزوار على مـدار اليوم مـن السـاعة 9 صباحا وحتى 11 مسـاء، وتشـمل المكتبـة أماكن مخصصـة للنسـاء وللرجال، وإضـاءة ومقاعد مريحـة للقراءة وخدمـات إنترنت.

• قاعات التدريب المجهزة

يوفـر مركـز الشـيخ علـي الغريـاني للكتـاب قاعـات لاسـتضافة وتقديـم التدريبـات وورش العمل والمؤتمـرات والملتقيـات والمحاضـرات، والقاعـات مجهزة بأفضـل الإمكانيـات مثل السـبورات الذكية، وأجهـزة العـرض الحديثة، والشاشـات وأجهزة الحاسـوب، وشـبكة الإنترنـت وغيرها مـن التجهيزات، ويمكـن حجـز القاعـات مجانا لإقامة الأنشـطة عـبر التواصـل مـع إدارة المركز

• خدمات أخرى

يقـدم مركـز الشـيخ علي الغريـاني للكتـاب عـددا مـن الخدمـات الأخـرى لتوفـير بيئـة مثاليـة لـرواد المكتبـة وطـلاب العلـم والمعرفـة، حيث يقـدم لزواره خدمـات مجانيـة عـدة مثل الطباعـة، وخدمـات تصوير المسـتندات، وشـبكة انترنت مجانيـة، وتوفـير صحـف ومجـلات يوميـة، ومقهـى، وخدمـات أخرى يسـعى من خلالهـا المركز إلى تلبيـة كافة الاحتياجـات لـرواده.

برعايـــة

المـــدار الجـــديد

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجـوراء : قـرب كوبـري الشـاحنات ، بجـوار مدرسـة الإمـام مالـك للتعليـم الشـرعي

@ Shabcenter 00218 91 024 0866 info@shabcenter.ly

للتبـرع للمركــز:

حســاب الوقـــــف 080-210-102
بمصرف الجمهورية / فرع الشاحنات

حساب الصدقة العامة 030-210-2099
بمصـرف الجمهوريـــة / تاجـــــوراء